



مذكرات شيطان



حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

١٤٣٩ هـ - ٢٠١٨ م

رقم الإيداع القانوني: 2017/23810

ردمك: 978-977-9593-17-6



حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادة طبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

المراجعة اللغوية والإخراج الفني: فريق العمل بدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

تصميم الغلاف: شركة أرابيسك (الحلول المتكاملة للتقنية والتصميم) arabisq1@gmail.com

القاهرة / مصر

جوال: 00201278821670

00201003528058

daralmotaqa@gmail.com

أَسْمَاءُ وَنَانَ مَذَكِرَاتِ شَيْطَانِ

من منا الشيطان؟ .. للحقيقة بعد آخر

دارالموتقى
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى ذلك الغائب الحاضر.. ربما ستعود يوماً.
أسماء وبنات

مذکرات شیطان

دائمًا ما يُقال عني أنني السبب في كوارث تلك البشرية كلها، وأنا بريء منها لم أكن أنا الفاعل؛ كانت مجرد همسات صغيرة مني من يشاء من بني آدم فليستمع لي ومن شاء فليكفر بي، ولذلك قررت أن أكتب مذكراتي وأقص عليكم نبأ ما يحدث معي، ولكم أن تحكموا أنتم.

فكرت كثيرًا في كيفية كتابتها وإيصالها لبني البشر لكنني مشغول طوال العام، الحقيقة بعد تفكير مضمّن مني فقد قررت أنه أنسب وقت لكتابتها هو شهر رمضان في هذا الوقت من العام بالتحديد أكون أحمق مسلسل لا حيلة لي سوى مراقبة بني البشر من بعيد، حسنًا إنها فرصتي. راقبتهم عن كثب على أن اختار بعناية من سيقوم بكتابة تلك اليوميات، فليكن كاتب إذن.

أيام وأنا أبحث عن ذلك الكاتب حتى تتبعت ذات يوم كاتب كبير ملأت قلبه بالغرور حتى تشعب إلى أقصى درجاته، الحقيقة قررت أن يكون هو كاتبِي، ولكن ما أن اقتربت منه حتى تعثرت في كثرة الشياطين أصدقائي ممن كان يحيط به بأعجاب شديد؛ إنه يجعلنا أبطالًا خارقين في كتاباته السخيفة.

ولكنني وجدت فتاة شابة تجلس على مقربة مني على استحياء تحاول أن تجد الكلمات لتقولها ولكن تلثمها وقف حائلًا بينها وبين النطق بشجاعة، فأخرجت قلمها وبدأت تكتب ما ستقوله اقتربت من ورقتها، كلماتها كانت منتقاة بعناية أخرجت ضحكة كبيرة مني

فهذه الفتاة ستكون هي المختارة، نعم كاتبة جديدة تحاول أن تصلح المجتمع، ربما علمت كل شيء بمجرد النظر إلى ما كتبت في ورقتها لذلك الكاتب الأبله الذي تراه أستاذها، وتريد أن تنهل من علمه لكنه لن يدنو منها ولو مقدار شبر واحد لن يساعد فتاة تكتب لتصلح أبدًا هو لا يكثرث إلا للفرقة الإعلامية.

تتعجبون مني لِمَ اخترتها، الحقيقة أنها أنسب من ذلك الكاتب فالكل يعلم تفاهاته وكلماته التي لا تمت للواقع بشيء لكنها مختلفة تكتب لتصنع مجددًا.

عليّ الآن أن أعد الخطة جيدًا لإحضارها.

اليوم الأخير من شعبان

أفاقت وهي تحاول الرؤية والتي كانت ضبابية لها ارتدت نظارتها، وبدأت تستكشف المكان من من حولها وهي ترتعد وتصرخ: «أين أنا؟».

كنت بهيئة بشرية وادعيت أنني منكم: «مرحبًا بك أيتها الكاتبة، بين يديك شاب عادي يدعى محب».

اهتاجت وبدأت تلتصق بالجدران وهي تنظر لي في رعب رغم أنني كنت بشريًا تمامًا لا أعلم لماذا الخوف: «لن أؤذيك يا عزيزتي، لك عندي مفاجأة سوف تُعطى لكِ الفرصة لتصلي لتلك النجومية التي كنت تسعين لها».

«لا أريد أي نجومية أنا أكتب لأنني أحب الكتابة فقط، أرجوك اتركني».

مالت برأسها حينما سمعت صوت التلفاز وهناك خبر: «اختفاء الكاتبة أسماء مهران تحت ظروف غامضة، وهناك رسالة على صفحتها الشخصية بموقع التواصل الاجتماعي مكتوب بها، انتظروا المفاجأة أيها البشر».

بدأ جسدها يرتعد أكثر حينما سمعت الخبر ونظرت لي: «من أنت حقًا؟!».

أمسكت بالكرسي واقتربت منها في حذر لأنني وجدت حالتها سيئة جدًا، وجلست وأنا أمسك بغليون كالأفلام الأجنبية، وبدأت

أتحدث وأنا أنفس الدخان بالهواء، وقلت لها: «أرجو أن تستمعي لي لأنه ليس هناك سبيل لك إلا اتباع أوامري، ما شاهدته الآن على التلفاز جزءاً بسيطاً مما سأصنعه لك، لقد صنعت لك إعلاناً حتى يعرفك الجميع وما ستقومين به معي سيكون أقوى من أي شيء، إنها فرصتك أيتها الفتاة، وليس هناك وقت».

اقتربت منها وأخرجت بعض الأوراق وقلماً من الرصاص وألقيته بجوارها ثم قمت من مكاني وأنا أدير لها ظهري وأنظر لها بطرف عين: «نصيحة مني لا تحاولي الهرب؛ المكان هنا يقع بين عالما وعالمكم فلا سبيل لك للخروج؛ ستكتبين مذكرات الشيطان أيتها المحظوظة».

ثم تركتها وذهبت.

كنت أنظر لها من ثقب الباب وهي تفرك يديها وتبحث عن مخرج، يا إلهي! لا تكف هذه الفتاة عن المحاولة أبداً، اقتربت منها مرة أخرى فوجدتها على وضعها الأول لم تفهم ما أنا مقبل عليه معها، أجدها الآن قد كفت عن البكاء نظرت لي وعيناها يملأها الخوف: «إن كنت تُدعى (محب) أي مذكرات شيطان تريدني أن أكتبها لك؟!».

يا لها من ذكية، يبدو أنها تحاول استدراجي: «حسناً حسناً لك هذا، أنا لست (محب)».

اتسعت حدقة عينيها أكثر: «إذن من تكون؟!».

رددت ببرود: «يستحسن ألا تعرفي».

انفعلت: «لا بل أريد أن أعرف».

«يبدو أنك يا عزيزتي ستكتبين مذكرات شيطان ربما كان تخمينك واتساع حدقة عينيك وحملقتك لي كالبلهاء هكذا يشعرني أنك قد علمت من أكون».

ثم قمت من مكاني واتجهت ناحية الباب لأخرج منه مرة أخرى فهبت واقفة من مكانها: «انتظرت بلهاء، لقد عرفت من تكون، والآن أخرجني من هنا أنت تعلم جيدًا أن بإمكانك حرقك بكلمة واحدة مني».

رجعت مرة أخرى وجلست على الكرسي ووضعت أمامها بضعة أوراق وقلماً وأنا أتحسس القلم بيدي: «أنا ورقتك الراحبة، أنت الآن على أعتاب مجد لطلالما تمنيته، إن رفضت أعدتك إلى حيث أتيت بك وإن وافقت على الكتابة، تعلمين جيدًا كيف ستختلف حياتك».

وضعت القلم من يدي بجوار الأوراق وعدلت عن جلوسي وخرجت من الباب.

أنظر لها مرة أخرى فأجدها في حيرة شديدة ثم فتحت التلفاز مرة أخرى ووجدت اسمها يلعب على شاشته فأغلقتة وتحسست الجدران لتجد مخرجاً لكنها فشلت.

لكن يبدو أنها أخيراً استجابت لي فقد أمسكت بالأوراق والقلم، وجلست على ركن وبدأت تكتب لن ترفض عرضي؛ ليس لديها حل آخر سوى الرضوخ لي، تركت لها شقة واسعة وتلفاز وثلاجة مليئة بالطعام تكفيها أشهر وليس شهراً واحداً.

وها قد جاء نهار رمضان حانت لحظتي، سأبدأ في سرد يومي

الأول.

اقتربت منها وهي تتحاشى النظر إليّ لقد بدا عليها الحدة في الحديث معي، فقد قالت لي بصوت يخرج منه الكره والبغضاء لي: «فلتحدث، ولننجز هذا العمل هنا».

جميل جدًا أنها ستكتب كل كلمة أقولها، ها قد حانت لحظتي المنشودة إنه أول يوم في شهر رمضان، وقد بدأت حديثي معها من وراء الجدران فلن أسمح لها بأن تراني مصفدًا بالأغلال أبدًا.

اليوم الأول

القصة

هل سمعتم من قبل بمرض اضطراب الخلل الجيني أو الكروموسومات؛ حدث هذا المرض مع طفل وليد قبل خمسة وعشرين عامًا من الآن، القصة من البداية هي لوالد الطفل؛ رجل يعيش بالأرياف المصرية يدعى «عبد الصمد» فاحش الثراء، هذا الرجل لديه إخوة من والده يريدون أن يرثوه بأي شكل وخاصةً أنه لا ينجب إلا الفتيات بالطبع لم يقبل بإرادة الله له، وتزوج ثلاثة نسوة كلهن لم ينجبن إلا الفتيات حتى قرر أن يتزوج الرابعة.

المأساة الحقيقية ليلة ميلاد طفله من زوجته الرابعة، فقد قام بخطف الطفل حتى إن الكل ظل يبحث عنه لم يعرفوا عنه شيئًا حتى الطبيب الذي قام بعملية الولادة للطفل حيث كانت قيصرية متعثرة، اختفى تمامًا بعد أن قام بعملية الولادة، حتى إن الأم لم تعرف ماذا رزقها الله فتاة أم صبيًا؟ مرت عدة أشهر وعاد الأب حاملًا الطفل كان صبيًا جميلًا أسماه «منصور»، لم يتجرأ أحد على سؤاله أين كان؟ أو لماذا فعل هذا؟ وإلى أين ذهب بالطفل فقد كان رجلًا قويًا غليظ الطباع، يهابه قومه.

قام عبد الصمد بأفعال غريبة بداية بتطليق أم منصور، الكل كان متعجبًا لقد أنجبت له الولد كيف له أن يفعل هذا؟ لكن لم يستطع أيًا من كان أن يرفع عينيه فيه حتى، ولكن عبد الصمد كان منصفًا لأم منصور من وجهة نظره سمح لها أن تأتي لزيارته وأعطاهها منزلًا كبيرًا وقطعة أرض،

لم يسمح لأحد أن يقترب من منصور أبداً حتى حينما كان طفلاً لم يسمح لأحد بتغيير ملابس الطفل ولا الاقتراب منه حتى وصل عامه الرابع، وبدأ يخلطه في مجالس الرجال ويربيه على الشدة والقسوة، ولكن منصوراً كان ضعيفاً لم يكن مفتول العضلات كباقي الصبية في القرية، ولا حتى خشن الطبع كما أراد والده، رغم أنه قام بتربية صارمة له وكرس حياته كلها لجعله قوياً لكنه لم يستطع حتى بعدما بلغ عامه الثامن عشر.

كان منصور رقيق القلب، مهزوز الشخصية دائماً ما يحاول الابتعاد عن الناس وخاصةً مجالس الرجال الذين أجبره والده على مخالطتهم، وهو لا يعجبه أفكارهم ولا حياتهم، درس منصور وأحب العلم بشدة، وكان من المفترض أن يدخل كلية الطب لكن والده رفض، وأصر على بقاءه بجواره بل والخطبة له؛ قام والده باختيار أجمل فتيات القرية كعروس له، كان الكل يغبطها تلك المحظوظة التي ستزوج أغنى رجل بالبلدة، في تلك الفترة كان الفتى قد أوشك على عامه العشرين لم يستطع أن يكسر كلام والده رغم عدم ميله تجاهها بأي مشاعر أو أحاسيس، ولكنه قبل زفافه أصر على الذهاب لأمه والبقاء معها بضعة أيام، في تلك الأثناء ظل يحكي لوالدته أشياء غريبة وهو يشعر بالحزن الشديد ولا يعلم ما الذي ألم به، والدته كانت مستاءة جداً من أبيه، وحكت له كيف أنه أبعدها عنه، وحرمها لذة بقائها بجواره إلا بضعة لحظات كانت تختلسها من الزمن حينما يسمح لها بذلك.

تعجب منصور من فعلة أبيه وقرر أن ينبش في الماضي ليعرف ما الذي يخبئه عنه والده، وحتى تلك الأحاسيس الغريبة التي تتابته باستمرار.

بعد بحث مضمّن توصل إلى الطبيب الذي قام بعملية الولادة واختفى، وجده عائداً من فرنسا وقابله بعد عناء شديد لشدة انشغاله.

في لهفة قال له: «مرحباً أيها الطبيب، أريد أن أعرف منك بعض الأمور رجاءً احك لي ولا تخبي عني شيئاً».

تداول مع الطبيب والذي حينما علم أنه ابن عبد الصمد حاول التخلص منه وطرده، وأصر على ألا يحكي شيئاً له، كان منصور قد وصل به الحال لأن أخرج مسدسه من جيبه ووجهه ناحية الطبيب وقال في حنق شديد: «إن لم تخبرني الآن سأقوم بقتلك، وأنت تعلم أن والذي نفوذه كبير ولن يحاكمني أحد».

ارتعد الطبيب وبدأ يسرد عليه ما حدث...

تلك اللحظة التي سمع فيها الحقيقة ألقى المسدس من يده وخر على الأرض يبكي كطفل صغير، ثم قام فجأة وأمسك بالمسدس مرة أخرى، وهو يحملق بعينيه ويحبس دموعه، ثم عاد إلى قريته، كان الكل يهنته وهو لا يسمع ولا يرى، ولا يرد على أحد منهم، يمشي بين الناس كجماد متحرك أو آلة ليست بشرية لا يكثرث لهم، حتى وصل إلى حجرة والده وأغلق الباب جيداً وهو يمسح الدموع من عينيه: «أيها المجرم! لماذا فعلت بي هذا؟!».

الأب في ذهول: «لم أفعل شيئاً ما بك يا ولدي لماذا ترفع سلاحك في وجه أهلك هكذا؟ أجننت؟!».

«تعلم جيداً ماذا أقصد يا أبي، لقد قابلت الطبيب، وحكى لي كل شيء».

وما أن سمع والده كلمة الطبيب حتى جلس على كرسيه وهو

يعض على يديه من الغيظ، ويتندم أنه لم يسمع كلامي حينما وسوست له بقتل الطبيب حتى لا يترك أثرًا خلفه.

ثم قام من مكانه وربت على كتف ولده وأمسك من يده المسدس، وأجلسه في هدوء وبدأ يحكي له ما حدث حتى يجد عذرًا لائقًا لديه: «منذ عشرين عامًا يا ولدي وأنا لا أنجب إلا الفتيات حتى أتيت أنت طفل مصاب بخلل جيني، لم يكن لديه أي أعضاء تناسلية تظهر هويته، وأخبرني الطبيب بهذا أنا وحدي؛ كدت أجن لكنه أخبرني أن لديه حلًا وهو معرفة إن كنت فتاة أو فتى، فهي عملية بسيطة وسيتهي الأمر، لكنني أغريته بالمال الكثير حتى يترك البلدة ويدفن شرك معه، وسافرت بعيدًا بك، وعلمت من الأطباء أنك لا بد أن تكون أنثى، كاد عقلي أن يطير من مكانه، بل كدت أموت؛ فأنت آخر أمل لي، لم أتحمل الصدمة، وأعطيت لهم نقودًا كثيرة مقابل تحويلك لصبي، ففي كلا الحالتين يا بني لم يكن لديك أي...».

لم يكمل حديثه وصرخ الفتى به: «كفى، أنا لا أميل للنساء، لا أحب تلك الفتاة التي خطبتها لي، عقلي كاد أن يجن، دائمًا ما أحلم أحلامًا غريبة؛ أكون فيها بفستان زفاف ككل الفتيات، لقد دمرتني، لا أستطيع أن أكون رجلًا ولا حتى امرأة، من أنا الآن؟».

في تلك اللحظة وسوست لمنصور أن يقتل نفسه لكن أبوه هجم عليه وأمسك منه المسدس واحتضنه وهو يتوسل إليه ويبكي: «يا ولدي هذه أمنيتي الوحيدة لا تسلبها مني، أرجوك أن تكون رجلًا أتوسل إليك».

انتهى هذا اليوم ولم أستطع أن أخرج بمكسب سوى دمار الأب

لحياة تلك الفتاة المسكينة التي عليها أن تعيش رجلاً لبقية عمرها بل وتتزوج أيضاً، مرت الخمس سنوات كانت زوجة منصور قد أنجبت ولدين توءماً، الحقيقة لم يكثرث والد منصور لكون الطفلين من صلبه أم لا، فقد عانى مع ولده في موضوع الإنجاب حتى رُزق بهذين الحفيدين أخيراً، وبدأ رحلته معهم فقد كانا ولدين حقيقيين ليس كذلك الفتى المزيف ابنه المسكين منصور عاش حياة بائسة إلى أن أغلق على نفسه الباب ولم يحدث أحداً، وترك زوجته وطفليه إلى والده بعد مولدهم ثم هرب ولم يعرف طريقه حتى الآن.

انتهيت من قصتي الأولى معها، لقد كتبت كل ما أملكته عليها بالحرف الواحد، وجلست تقرأه مرة أخرى، يبدو أن القصة قد راقت لها، حسناً يا عزيزتي ما زال في جعبتي الكثير.

اليوم الثاني

كيف لي أن أبقى في هذا المكان الغريب؟ لم أكن أتخيل أن حلمي بأن أصبح كاتبة كبيرة سيتهي بي في هذا المكان، لن أسمح له أبداً بأن يتصر عليّ سأقاوم حتى لو كلفني المقاومة حياتي.
«اسمع أيها الشيطان لن تتصر عليّ أبداً أفهم؟ سأخرج من هنا وسترى».

«نعم، ستخرجين، قلت لك هذا، ولكن عندما أحدد أنا الموعد».
قالت في ثقة: «سترى».

ضحكت ضحكة عالية: «حسناً، تمسكي بقلمك جيداً، عليك الآن في الشروع بالكتابة».

القصة

ممددة على الأرض لا تقوى على الحراك هناك من طعنها من الخلف وهرب، حاولت أن تراه ولكن الرؤية ضبابية، تحرك يدها يميناً ويساراً ربما استطاعت أن تستفيق مما هي فيه لكن دون جدوى؛ الدماء تفرش المكان وكأنها تسبح فيها بضع لحظات فقط قبل أن تفارق الحياة، هناك من طعنها ورحل.
تم تقييد القضية ضد مجهول، ولكن الشكوك كلها تلتف حول «عصام» ابنها الوحيد يقال: إنها كانت أم متسلطة وهناك شهود على رؤيته يتوعدوا بالقتل لقد كانت هذه الواقعة حديث المدينة.

كان عصام منهارًا تمامًا في جنازتها، وهناك نسوة ينظرن له بغيظ نظرات اتهام مباشر، بالطبع ورث عصام ما لا يقل عن أربع سيارات وفيلا فارهة إلى جانب بعض الأراضي الزراعية على طريق الإسماعيلية، وما لا يعلمونه من أرصدة بالبنوك.

الغريبة أنه مرت بضعة أشهر بعد أن ورث عصام، ثم وُجد مقتولًا بنفس الطريقة التي تم قتل أمه بها، الشكوك الآن تلتف حول الزوجة، بل لقد وُجدت آثار دماء لها بجواره، تم القبض عليها في السابع من يوليو، ثم تم تحويل أوراقها إلى المفتي حيث استطاع دفاع المحكمة إثبات قتلها للأم وابنها عصام.

بعد رفض الاستئناف تم تنفيذ الحكم بالإعدام على المدعوة مي حسين عبد السلام، وحيث لم يكن لها وريث فقد ورثها ابن عمها أيمن، أكرم عبد السلام، قصة غريبة لقد مات كل هؤلاء من أجل حفنة أموال، ألا تجددين الأمر غريبًا بعض الشيء أيتها الكاتبة؟

أراها تريد سؤالي لكنها التزمت الصمت، كبرياء النساء هذا لا ينفع معي يا عزيزتي، حسنًا ما دمت تكتبين ما أقوله فلن أعترض. فلنكمل، ذهبت لأرى بنفسني الوريث سعيد الحظ، وبدأت أتلصص عليه كما أفعل مع أغلب بني آدم، سأصف لك اللحظة فهي بالنسبة لي مشبعة بالسعادة.

أنا أرى أيمن الآن وهو جالس بالفيلا التي ورثها وهو يصرخ فرحًا، أمسك بصورة لـ«مي» ابنة عمه وهو يودعها قائلاً: «أيتها الحمقاء لقد استطعت أن أتخلص منك، بل وأرثك أيضًا، ثم إنه من ترفض حبي لأجل هذا التافه المدعو عصام عليها أن تنال العقاب، حقيقة إن طعم النقود أجمل بكثير من حبك، سامحيني أيتها الجميلة حين جرحتك

دون قصد حتى أحصل على قطرات الدماء لإدانتك كم أنا ذكي!؟». تعلمين بنفس تلك النظرة التي اختلستها وأنا أرمق أيمن عادت مرة أخرى لي نشوة السعادة بعد مرور عشرين عامًا وأنا أنظرها من جديد لابنه وهو يقوم بقتله بنفس الطريقة ولنفس السبب المال. سيظل ابن آدم دائمًا يستمع لي دائمًا، قصة لا دخل لي بها إلا بعض الوسوسات الصغيرة في أذن الورثة فقط.

أكملت القصة وبعد انتهائي أمسكت الفتاة بالأوراق، وألقت بها عرض الحائط وهي تتأفف؛ يبدو أن قصة اليوم لا تعجبها، أو ربما أثارت إعجابها لا أعرف، لبضع ساعات كانت تجلس وهي تضع يدها على خدها تارة وتارة أخرى تمشي بالغرفة ذهابًا وإيابًا على غير هدى إلى أن وقفت فجأة، ثم اقتربت من الأوراق التي ألقيتها وبدأت تلملمها مرة أخرى وترتبها، ثم ألقى نظرة خاطفة بطرف عينيها ووضعتهما على المنضدة وخلدت للنوم.

* * *

اليوم الثالث

تلك الجدران التي يحسني بداخلها غريبة أطرق عليها فيرتد لي صوت الطرقات مرة أخرى، لا أعلم أي مكان أجبرني على البقاء فيه لكن حتمًا هناك مخرج ما وعليّ أن أجده.

«أما زلت تبحثين عن مخرج أيتها الكاتبة؟».

«اسمع يا هذا أريد معرفة شيء واحد؛ ما هذا المكان؟ أين أنا؟».

«مكان بين العالمين؛ بين عالمي وعالمك، لن يكون الخروج بالسهولة التي تتخيلينها أبدًا».

«ما الذي تعنيه بمكان بين العالمين؟ أخبرني الآن، لا أفهمك».

ضحكة عالية كالعادة: «اسمعي يا فتاة سأبدأ في القصة هيا لا تضيعي الوقت».

القصة

«هنا» اسم فتاة جميلة من ذوي الاحتياجات الخاصة؛ ملاك يمشي على الأرض لم يتفهم المجتمع ظروفها أبدًا، هناك من كان يسخر منها وربما ينظر إليها وكأنها قادمة من كوكب آخر، لكنهم لم يتفهموا وضعها أبدًا، كانت تبادلهم النظرات بابتسامة بريئة ربما ابتسامتها هذه ما كانت تجلب لها المتاعب، فكلما كبرت ازدادت جمالًا فالجسد بعيدًا عن العقل ينمو ليعطيها غلافًا أنثويًا ساحرًا يطغى حتى على مثيلاتها ممن يمتلكن الذكاء.

لقد أتمت الآن من عمرها ثمانية عشرة عامًا، أصبحت يافعة كباقي الشابات إلا أن العقل ظل في مرحلته الطفولية ربما هناك قوس

قزح جميل لا يترك عقلها، وبه كائنات صغيرة تشبه الحلوى تجعلها تبسم باستمرار.

لم يتوقع أحد أن يرتكب والدها جرماً شنيعاً، فقد اعتاد الناس عليه إنه ذلك الرجل المسالم والد الفتاة المريضة، والذي يبدو عليه الكسرة والألم مما عاناه من سخرية القوم، ويأسه في إيجاد علاج لابنته لقد اتهم بالقتل عمداً، بالطبع لم يعرف أحد لماذا قتل والدها ثلاثة من شباب المنطقة «عماد وعادل وياسر» بعد أن تأكدت الشرطة من فعلته طلب من الضباط أن يأتي بدليل براءة أو إدانة فهو لا يكتثر.

المصيبة أنه دخل منزله وأخرج ما جعل الضباط يقف صامتاً، ويرتجف جميع من كان واقفاً من هول المنظر فقد التف أهل الحارة جميعاً حوله في شغف ينتظرون دليله بفارغ الصبر؛ حتى فتح ثلاجته الكبيرة وأخرج جثة «هنا» مذبوحة وممزق ثيابها، فحملها وهو يبكي ولا يكتثر للدموع أو المخاط السائل من أنفه من شدة الانفعال.

قال صارخاً: «انظروا ماذا فعل ثلاثتهم بابتي البريئة في عقر داري، لا يعلمون أنني أضع كاميرات مراقبة لأراقب أي شيء خوفاً على ابنتي التي لا تدري ما يدور حولها، دخلوا منزلي ولم يراعوا حرمة عدم وجودي بل استغلوها باغتصاب «هنا» وقتلها، نعم أنا من قتلهم بل لقد انتقمت منهم قبل القتل، وقمت بانتزاع أعضائهم التناسلية أمام أعينهم قبل أقتلهم بدم بارد، بل لقد تلذذت وأنا أقتلهم، لكنه لم يشف غليلي أبداً».

وضع جثة ابنته على الأرض وارتمى يبكي بجوارها كطفل صغير. أنا كشيطان لم أوزهم إلا على الاغتصاب، الحقيقة كان الخوف

هو من دفعهم لذبح «هنا» لكنني أقف الآن بنظرة النصر استطعت أن أفوز بحصد أربعة أرواح وتدمير الأب، بل تدمير عائلات الشباب أيضًا فلن أنسى أبدًا نظرة الحسرة على عين كل واحد منهم فقد ابنه، بل ولاحقه العار أيضًا.

وقد نلت على هذه الواقعة مكافأة كبيرة من «الخبيث».

هذه المرة الكاتبة صامتة تمامًا يبدو عليها الحزن الشديد؛ لقد أوت إلى ركن بعيد وأخذت تبكي بشدة، حقيقة أنا أنعجب من بكاءها وحاولت أن أعرف السبب، ولكنني لم أهتم فأنا أعرف جيدًا أنها تمزقت حزنًا على الفتاة التي تدعى «هنا» حتى أنا لو كنت بشريًا كنت سأحزن عليها، ولكن يا أولاد آدم فلتعلموا أنني لست أنا القاتل لم أقتل تلك الفتاة البريئة بل أنتم القتلة.

اليوم الرابع

ما الذي يعنيه بعالم بين العالمين؟ أي عالمين يقصد هل عالم الإنس والجن أم للشياطين عالم آخر؟ حسنًا، سأحاول أن أكسر الباب، يا إلهي! ما أن اقتربت من الباب حتى صعقت صعقة قوية وارتطمت بالجدار خلفي، لوهلة شعرت بوخز غريب برأسي ورأيت أناس يهرولون لا أدري ما هذا، كانت رؤيتي ضبابية أكاد أرى الوجوه كلها بشكل واحد لم أستطع أن أميز أيًا من كان منهم، ولكن كيف حدث ذلك؟

ما أن عاد لي توازني حتى وجدته ما زلت بتلك الغرفة من جديد هل كنت أحلم؟ يا إلهي! ساعدني أنا لا أفهم شيئًا.
صوته يقترب لقد عاد ليملي قصته الجديدة سحقًا له.

القصة

فعلت المستحيل إلا أنني لم أنجح مع ذلك الشاب المدعو «محمد»، في البداية عندما أصبح محمد شابًا يافعًا وضعت في طريقه «ماهي»؛ فتاة فائقة الجمال استطعت أن أنزع منها الحياء تمامًا، وجعلتها تستقطب محمد قدر المستطاع إلا أن خوفه من الله منعه، كم كنت أشتاظ غيظًا لأنني فشلت في المرة الأولى لكنني لا أياس أبدًا.

علمت بحبه وتعلقه بالله هذه المرة ستكون المهمة على عاتق «ناجي»، أجدده جديرًا بها من وجهة نظري ذلك الشاب الذي تربي جيدًا على يدي؛ حب المال ينجح معي دائمًا، وقد امتلكت كل ركن في عقله

وسيطرت أفكاره عليه تمامًا، في يوم قابل محمد ناجي وهو يعتقد أنها صدفة، ولكن هيهات أنا أتحكم هنا بدأ صداقتهما على أساس حب الدين، انجرف محمد وراءه كالغريق الذي وجد تلك القشة التي ستنقذه من هاوية السقوط في الجحيم.

بدأ يستمع إلى كل كلامه وينفذه، تقرب إلى الله كثيرًا في تلك الفترة لكن لا يهم ما أنا موشك على فعله سيبعده عن طريقه تمامًا، الحق أقول موته محمد كانت بشعة جدًا إلا أنني وبخت كثيرًا من كبيرنا «الخبيث» ما هكذا أردت أن تكون النهاية أبدًا.

سأقص عليكم نبأ موته لقد أراد الله لشاب نشأ في طاعته أن يموت على طاعته، استمع في يوم دون قصد لحديث هاتفني بين ناجي وشخص آخر كان يتحدث الإنجليزية، بالطبع كان ضليعًا بهذه اللغة بسبب تعليمه الجامعي ففهم ما يدور هناك؛ ممول أجنبي يدفع لناجي لاستقطاب الشباب والزج بهم في طريق التفجيرات، من كان يرفض كان يقوم معه بالتنويم المغناطيسي ودفعه رغمًا عنه.

لقد شاهد بعد ذلك بأعينه ما يحدث مع من يرفض، محمد علم أن دوره قد حان وأنه ميت لا محالة، وأن الله قد حرم الدماء وقدسها أكثر وأعظم من قدسية بيته الحرام نفسه، فادعى أنه وافق على تفجير مدرسة لأطفال أبرياء ولصق التهمة بالإسلام.

أسك بالقنبلة واحتضنها جيدًا وهم يراقبونه من بعيد قام بالنشر على الفيس بوك قبل أن يضغط الزناد، وفضح أمر ناجي ومن معه، ثم ضغط زناد القنبلة قبل أن يصل إلى المدرسة فتناثرت أشلاؤه في كل مكان.

استطاع الفوز بالدنيا والآخرة ذلك الأحمق رغم أنني علمت في ذلك اليوم أنه سيتم توييخي بشدة إلا أنني انحنيت إجلالاً لذلك الشاب الذي أفضل مهمتي بجداره.

أعترف هذه المرة أنني فشلت رغم استماتتي في النجاح، ولكني أعلم جيداً إنها إرادة الله فمن عاش على شيء مات عليه.

صوت ضحكة الكاتبة أثار غضبي: «حسناً يا فتاة هل تسخرين مني؟!».

ردت والسخرية تملأ حديثها: «انظروا من يتحدث عن الله؟!». «اسمعي أيتها الحمقاء هل أنا من يقتل أم أنتم أيها البشر؟! هل أنا من يحرق الأخضر واليابس أم أنتم؟».

سكتت ومالت بجنبها عني وانهالت على الأوراق أمامها تكتب، لا أعلم ما الذي تكتبه ربما تكتب حديثنا سوياً ولكني لا أكرث إلا لأن تكتب ما أمليه عليها فقط.

اليوم الخامس

وجدت ثقبًا ضئيل الحجم بالجدار لا أعلم هل رأيته وأنا أتحمسه أم لا، ربما هذا الثقب يمكن أن أخترقه وأهرب من هذا المكان، أحاول كل يوم خدشه بتلك السكين الصغيرة التي تركها لي وأخبئه بقطعة قماش استطعت أن آخذها من ملاءة السرير.

اليوم أصبح الثقب بحجم الليمونة الصغيرة أستطيع أن أرى القليل ربما أجد أحدًا فأستنجد به. اقتربت وأنا ابتلع ريقى في خوف ومددت بصري لأرى ما يوجد خلفه، وما أن اقتربت حتى سمعت صوته، أسرعرت وخبأت الثقب بتلك الخرقه البالية التي تغطيه، وجلست بسرعة وأمسكت بالأوراق والقلم.

(هو)

مرحبًا هل افتقدتيني؟ لا رد كالعادة، لا يهم كنت أحاول أن أطف الجوقليلاً في وحدتك هذه، حسنًا فلنبداً يومنا الجديد.

القصة

هذه المرة لا أعلم من منا الشيطان يا أولاد آدم، سأقص عليكم ولكم أن تحكموا.

الضابط «كريم» شاب طموح جدًا للأسف جلبه سوء حظه لأن يتم تعيينه بالصعيد حيث كان خبرًا مفرعًا بالنسبة له، فابتعاده عن المدينة كأنهم حكموا عليه بالإعدام.

بدأ عمله الجديد والممل يتخلل إلى كل خلية في جسده شيئًا

فشيئاً إلى أن قررت مساعدته، الحقيقة أنه استمع إلى كلامي جيداً بل لقد بدا عليه علامات السرور فنادى على الشاويش «عبد الباقي»، فليبي نداه مسرعاً نظر إليه في سعادة قائلاً: «اسمع أنا أريد قضية بأي طريقة، وقد فكرت في الإمساك بشبكة دعارة في الصعيد، سيكون خبراً ساراً للصحف أن تكتب عني وسيتم نقلي للقاهرة، وبالطبع لن أنساك، أعتقد أنك تفهم ماذا أقصد؟».

ابتلع الشاويش ريقه وهو يعلم جيداً عواقب أمر كهذا في الصعيد، لكنني همست في أذنه ألا يتوانى عن مساعدة الضابط كريم لربما وبخه أو أثر ذلك في سيرته المهنية.

انصاع الشاويش لأوامر الضابط، وبدأ يحضر بعض الفتيات اللاتي يعملن في مهنة الخدمة بالمنازل والقبض على بعضهن لتسوية القضية.

كان من ضمن المقبوض عليهن «هناء» و«هنية»، أختان تلبغان من العمر الحادية عشر عامًا، توأم غير متماثل، نجحت خطة الشاويش وتم ترقية الضابط وأخذ هو ما فيه النصيب من «الحلاوة» كما يسمونها. «هناء» و«هنية» عندما تم تبليغ أهلها بذلك بالطبع لم يعرف الضابط أن هذا عار كبير في الصعيد لا ينهيه إلا الموت، وأما عن الشاويش فقد غض بصره تمامًا عنهن، تسلمهما عمهما وأحضرهما إلى المنزل، وكانت «حسنة» زوجته تستشيط غضبًا، بل كل الأقرباء لم يتحققوا من الواقعة أو صحتها، كعادة الصعيد بدأوا في إعداد العدة وأحضرها سماً قاتلاً، وقاموا بتكثيف الفتاتين وعن طريق حسنة التي همت بضربهما واحدة تلو الأخرى ومعها بعض النسوة حتى إنهن قمن

بتكسير أسنانهما الأمامية لإجبارهن على فتح الفم، وبالفعل انزلق السم كالسحر، واعتصرت الفتاتان، وأصبح الريم يخرج من أنفيهما وفميهما أعقبته دماهما ثم همد كل شيء، وأسلمتا الروح لبارئها.

أقاموا مأدبة كبيرة ورقص وغناء على إثر الانتقام لشرفهم، بالطبع حضر الطبيب الشرعي والذي في واقعة كهذه في الصعيد لن يفتح فمه أبداً، وسيكتب تقرير وفاة بالسكتة القلبية لأنه يعلم جيداً مع من يتعامل، لكنه أثناء الكشف على الفتاتين كتب في تقريره أنهما بكر، ولم يمسهن بشر من قبل، بالطبع عندما علمت «حسنة» بذلك أخفت الأمر تماماً حتى لا يتم اتهامها وزوجها، وانتهى أمر الفتاتين وأصبحتا نسياً منسياً.

أخبروني الآن من منا الشيطان؟ أنا من همست ببضع كلمات أم من قتل دون أن يتحقق أم ماذا؟

أكملت قصتي ولم أسمع منها غير كلمة واحدة: «انتهيت؟».

فأجبتها: «نعم، ألا يبدو لك أن القصة انتهت؟».

في الحقيقة أنا أتلصص عليها الآن أجدها في الآونة الأخيرة ملتصقة بذاك الجدار معلنة لرفضني عن طريق الصمت، ولكن الأيام تدور بسرعة سأنتهي من مذكراتي قريباً، وسأطلق صراحها ولكنها ستشكرني لاحقاً.

اليوم السادس

اليوم استطعت أن أجعل الثقب بحجم ليمونة متوسطة، أعلم أنني أسير ببطء لكن ليس بيدي حيلة، ثم إنني أستطيع الانتهاء منه في يوم واحد، ولكن عليّ أن أحترس وأن أكون واعية حتى لا يراني؛ ثقب صغير ببطء ثم من بعدها حرية أفضل من باب يفتح ليتم القبض عليّ ثانيًا ولا أستطيع الخروج مرة أخرى.

حاولت النظر من خلاله لكن الظلام كان يحيط بالمكان من كل الجهات، ربما يأتي اليوم السادس وأستطيع أن أرى في الصباح، يا إلهي! أي صباح هذا أنا لا أعلم هل نحن صباحًا أم مساء، صوته يقترب إنه لا يدخل الحجرة منذ بداية رمضان، اعتاد أن يتحدث من خلف باب الحجرة لكنني لم أر كيف هي أحواله أو أي سلاسل غلغل فيها.

«مرحبًا عزيزتي الكاتبة، كيف حالك اليوم؟ نعم نعم، لن أنتظر الإجابة لنكمل كتابة يومياتي يا فتاة».

القصة

سأخبركم حقيقة؛ من أحب الأعمال إلى قلبي حينما أوسوس لأحد في الصعيد صراحة أجد هناك مرتعًا لي، فهم يستمعون إلى كل ما أملكه عليهم، بل لقد جعلتهم يضعون عادات وتقاليد بعضها منافٍ لتعاليم الدين، حسنًا سأقص عليكم حكاية بنت جميلة تدعى «نجلاء».

ترعرعت نجلاء بالصعيد في إحدى مدنه كانت طفلة صغيرة حينما قدم إليها «عزام»، لا تعرفونه بالطبع إنه رجل تربى على سماع

كلامي بشدة، كم كنت أحب العمل معه، عزام كان كل عمله هو خطف الأطفال وإدخالهم في منظمة كبرى لتحويلهم إلى متسولين، أو إن كانت الفتاة جميلة فيتم زرعها في قلب ملهى ليلى؛ حتى تتشبع بالحرام وتتدرب لتصير راقصة محترفة.

وهذا ما حدث مع نجلاء بعد اختطافها بدأت تنسى معالم أهلها مرة فمرة، ولكنها لم تنسَ اسمها أو مكان ميلادها لكنها لم تستطع الهرب منهم، فتشبعت بما أملوه عليها وأصبحت راقصة محترفة في ملهى ليلى كبير.

نجلاء كان جمالها كفيلاً بأن يجعلها تستقل عنهم عندما سنحت لها الفرصة؛ لتعمل في مقهى ليلى لحسابها الخاص، وبعد أن استقلت بدأت تحاول استرجاع ذكرياتها للعودة إلى أهلها، فلربما تجد قلبًا حانيًا عليها ينسيها مرار العيشة التي قاستها مع هؤلاء المجرمين.

عادت نجلاء إلى مكان ميلادها بالصعيد، وسألت حتى استطاعت أن تصل إلى بيت والدها، ساعتها علمت أن والدتها ماتت حزنًا وقهرًا عليها، كانت تبغي فيهم أن يحتضونها لتمحو آثار مرارة القسوة التي عانتها.

بالطبع شيء كهذا بالصعيد عار كبير، ولن يتقبلوا أن تكون ابنتهم راقصة، لم يعلموا أن الله يقبل التوبة بل ويمحو آثار ذنوبها، بل لقد نصبوا أنفسهم آلهة لا تقبل التوبة، وانهالوا بالسب والمهانة على الفتاة التي جاءتهم تبغي التوبة في أحضانهم وطردوها شر طردة.

أذكر النسوة هناك كانوا يخرجونها وهم ينظرون يمينا ويسارًا حتى لا يراهم أحد، ويعلم بأن لهن ابنة راقصة فيصيبهن العار ويعايرن بها.

انتهى أمر نجلاء أن عادت إلى الملهى الليلي مرة أخرى لتقضي ما تبقي من عمرها به.

كنت أجعل كبيرنا «الخبيث» يري بعينه ما آل إليه أمر نجلاء من السكر والفسق حتى أتقرب منه، لقد كان سعيدًا جدًا أنهم رفضوا مساعدتها في التوبة وتركوها لنا نحن الشياطين نعبث بعقلها كيفما نشاء، بل ونعبث بعقولهم هم أيضًا، فأعلم تمامًا أنهم قد حملوا بهتانًا وظلمًا كبيرًا في حقها وهذا يسعدني.

* * *

اليوم السابع

يأتي دائماً ضوء خافت من خلال الثقب ولكني لا أرى جيداً من خلفه، ربما أشاهد بعض الظلال بين الحين والآخر لكنني لا أرى شكلها، تبدو لي ظلالاً بشرية، يا إلهي! كم أنا في أشد الحاجة للعودة إلى أسرتي افتقدتهم بشدة، غداً سأفكر في حل للتواصل معهم، لقد بدأ في حديثه وأنا ممسكة بقلمتي لأكتب كل ما يملي عليّ.

القصة

اليوم سأقص عليكم حكاية تلك العفريته التي... دعونا لا نستبق الأحداث سأقص عليكم كل شيء.

«محيي» كان شاباً غريب الأطوار منذ معرفتي به، وهو لا يكثرث لوسوستي المستمرة له، حتى إنه لا يكثرث لأي شيء البتة، كان كل هم والده أن يزوجه ليفرح بأبنائه كأبي أب، إلا أن هذا الشاب كان لا يكثرث للفتيات أبداً، حتى تعرف على «منى» كانت تقطن بالمنزل الكبير آخر الشارع ونافذة منزل محيي مطلة عليه، اعتاد أن يراها واقفة تبسم دائماً، كانت جميلة بشكل ملفت، والداها عجوزان جداً ويتحركان بصعوبة، بالطبع نظرهم ضعف مع الزمن ولم يتبهوا لوقوفه المستمر يراقب فتاتهم الجميلة.

تعلق قلبه بها بشدة وقرر الاقتراب والتعرف عليها، حقيقة لم أفعل أنا كشيطان شيئاً مثل عادتي بل أعجبتني اللعبة وجلست أشاهد باستمتاع.

حاول الاختباء من والديها ووقف أسفل النافذة المطلة على حجرتها، وأخبرها أنه أخيراً وجد فتاة أحلامه، وأنه يبغى الزواج منها، قالت وقد احمرت وجتتها من الخجل: «لي شرط واحد»، فأخبرها بموافقته قبل أن تكمل حديثها ولكنها أردفت قائلة: «فلتخبر والدك غداً أن ينتظرنى معك في التاسعة بحديقة منزلكم».

هرول مسرعاً إلى والده ليخبره بالخبر السار أنه وجد ضالته

المنشودة.

تهيئاً لها وأعداً احتفالاً صغيراً وانتظراها بالموعد المحدد، سمع محي طرقاتاً على بابهم فأسرع ليفتح لها، ففوجئ بوالديها العجوزين، شعر بالخجل وطلب منهما الدخول وهو يتلفت حولهما لكنها لم تحضر، وما أن دخلا حتى تحركت الأم ناحية الشجرة العالية وألقت برماد أسود فيمتلئ المكان بدخان أخضر اللون وظهرت «منى»، كان والد محيي فاتحاً فمه وعلامات الرعب تعتريه والفتى محيي المسكين التصق بوالده لا يقل رعباً عنه، فابتسمت الأم وأمسكت بيد زوجها وأجلسته بجوار الشجرة فأخرج فأساً وبدأ ينبش الأرض حتى ظهرت خرقة بالية، وما أن أزالها حتى أمسك بيد بشرية متحللة وبدأت منى تبتسم ابتسامة كبيرة على شكل هلالى ملاً وجهها بأكمله، وجحظت عينها وزمجرت بصرخة هزت الأرض، نظرت الأم لوالد محيي وقالت وعيناها يخرج منها الشرر: «اعتقدت أنك ستفعلت بعملتك هذه، لقد قتلت ابنتنا الوحيدة، الآن فلتذوق طعم الحرمان من ابنك الوحيد».

أخذ يصرخ: «أرجوك! لقد كان قتلاً خطأ، أقسم أنني لم أقصد، لم أكن أعلم أنها لا تجيد العوم وعندما اقتربت منها كانت قد جرفت

الأمواج وماتت».

صرخت الأم: «صمتًا، كنتما متحابان، لِمَ لَمْ تخبرني، أعلم أنها عصت أوامر الله وأوامري ولكنك قتلتني أنا ووالدها طيلة هذه السنوات، تعلمنا فيها السحر الأسود حتى توصلنا إليك ولكني لم أقتلك، ولن أفعلها سأجعلك تتذوق من نفس الكأس».

وأخذت تضحك بطريقة مخيفة هي والأب ومنى مبتسمة تقترب من محيي والأب يصرخ ويحاول النجاة بولده، لكنها اختطفته في لمح البصر واختفت.

واختفت معها الجثة المتحللة التي حاول أن يواربها الثرى في حديقته طيلة هذه الأعوام، ظل ينيش الأرض ويصرخ وينادي على محي الذي ذهب إلى المجهول.

الحقيقة أنا من علمتهم السحر الأسود حتى أصبحا بارعين فيه، أنا فخور بهما جدًا.

اليوم الثامن

ما زلت أنا وذلك الثقب أراقب عن كثب كل ما يدور حوله، وتلك الأصوات الغريبة التي تبدو مثل الهمس لا أستطيع تمييزها، كتبت بورقة كلمة النجدة وألقيت بها من الثقب وجلست أترقب أن يراها أحد ويأتي لإنقاذي، طيلة اليوم لكن تلك الظلال تمر ولم يلحظها أحد حتى سمعت صوت طفل يقول: «أمي أمي، انظري ماذا بتلك الحائط بها ثقب وعينان تنظران» فجذبتة بقوة ونهرته عن فعلته وأنا أكاد أتميز من الغيظ إنها المرة الأولى التي أسمع صوتاً واضحاً، والأغرب أنه صوت لطفل وأمه! هل كان يكذب عليّ هذا الشيطان حين أوهمني أنني في عالم آخر، طيلة الوقت لا أسمع إلا تلك الهمسات الغريبة، والآن أسمعها واضحة جلية، عليّ أن أكتشف أين أنا، والأصعب من هذا هو أن أواري هذا الثقب عن الثرى، لا بد أن يظل ما أفعله بعيداً عنه، حسناً سأكتب كل يوم ورقة وألقي بها من هذا الثقب؛ لعله يأتي اليوم الذي ينقذني فيه أحد.

«مستعدة للقصة يا عزيزتي، لن أنتظر الرد فلنبداً».

سرحت بعيداً في ذلك الشاب العشريني «كمال» وكيف استطعت أن أجند هذا الشاب وأصبح لعبة سهلة في يدي كيفما أشاء، في بادئ الأمر كمال كان كثير العلاقات بالنساء، وكنت أنا أشعل نيران الغرور بداخله حتى جعلته يصل لمرحلة الرهانات على الفتيات، أسقط العديد منهن في وحل الخطيئة، وكان الرهان أشياء تافهة أشياء لا تُذكر.

أنت أقوى رجل تستطيع أن توقع أي فتاة كانت، وقد جاءت الفرصة لتثبت لهم أنك لا تُقهر، فلتوقع في شباكك الآن امرأة متزوجة، فهي أصعب من الفتاة التي لم تتزوج، والتي تنساق معك بدافع زواجها منك؛ تصبح أنت مثال للشباب الذي لا يُهزم أبدًا.

الحقيقة الفكرة أصبحت أقوى أكثر فأكثر، واستقطاب النساء أصبح سهلًا، وخاصةً عند الحلف بالله كذبًا لجعلهن يخضعن أكثر، وربما البكاء أحيانًا لتمثيل الحب والغرام حتى تقع الفريسة في الشبكة، إلى أن جاء اليوم الذي قابل فيه « منال » زوجة شخصية ذات نفوذ عالٍ؛ منال جميلة ورقيقة وزوجها يهملها بشدة، فجن جنونه وخاصةً أنها كانت صعبة، فأصبح كل الشباب التافه يضع الرهانات على من يستطيع النيل منها أولاً.

في بادئ الأمر كان ينتظرها أسفل منزلها ويخاطبها بكلمات رقيقة، درس مواعيد خروجها جيدًا حتى يستطيع أن يختلي بها في المصعد ليعطيها بعض النظرات الحانية التي تفتقدها ليشعل نيران الحب المحرم بقلبها؛ حتى تذوب في يده ويسهل اصطليها.

نسيت أن أخبركم أنه كان على اتفاق مع صديقه عادل على أن يقوم بتصوير أي فتاة تقع في يده، فكان لديه مئات التسجيلات ليبتزهن فيما بعد.

جاء اليوم الذي لانت فيه منال، فجمع عدته مع صديقه لتصويرها والنيل منها، هذا الشاب كان أغرب من تعاملت معه، لم أجد له قلبًا ليحب، لكن ربما هذا تأثيري فأنا من غرست الغرور بداخله حتى أعمي بصره وبصيرته.

بعدما انتهى منها كان عليه أن يبتزها؛ لينال نقودًا كثيرة؛ وهنا كان لي دور كبير؛ ذلك الشاب صديقه الذي يقوم بالتصوير جعلت الطمع يملأ قلبه حتى ينال نصيبًا كبيرًا من النقود مثله، وقام الشاب بابتزازه ليعطيه النصيب الأكبر وإلا سيقوم بفضحه ونشر الشرائط على الانترنت، جن جنون كمال ونعته بالخيانة، وهنا أعطته فكرة بسيطة وقام هو بتنفيذها جيدًا.

جرعة بسيطة من السم لن يكون مفعولها قويًا؛ لتضعها بالمشروب الغازي وعند استجوابك تخبرهم أنه صديقك الشاب حتى يصبح في قبضة يدك، ويعطيك كل ما يملك من التسجيلات ولن يقوم بابتزازك مرة أخرى.

الحقيقة يبدو أن المواد الغازية كانت تتفاعل مع السم وما أن شربه حتى نُقل إلى المستشفى، وهناك حاولوا إسعافه إلا أن إرادة الله له أن يموت فيها، مات كمال وكتب بالتقرير مات متحرًا مات على معصية، بل وقتل نفسه بيده، وهكذا أنا الرابع من جديد.

اليوم التاسع

استيقظت من النوم مبكرًا، وكتبت ورقة أخرى وألقيت بها وجلست أترقب، أشعر بتوتر شديد هذا الانتقال قاتل، ثم تلك الأصوات التي تبدو مثل الهمس عادت من جديد؛ إنها تثير غضبي بشدة، أشعر أنني أتقهقر وأعود إلى الخلف بعدما وصلت لمرحلة جيدة، أسمع صوتًا يقترب خطوات أقدام، يا إلهي! أشعر بالحماسة صوت امرأة يقول لي «مرحبًا» من شدة سعادتي أخذت أتلعثم وأنا أتحدث، قلت لها في لهفة مسرعة: «اقرأ الورقة أرجوك بسرعة» لا أستطيع أن أرى وجهها لكنني أشاهد يدها، أمسكت بالورقة وأخذت تقلبها يمينًا ويسارًا ثم ألقيت بها بعيدًا قائلة: «الحقيقة أنا أعمل هنا لن أستطيع مساعدتك، لكن سأحاول أن أجد لك حلًا، لا تقلقي كل شيء سيكون على ما يُرام».

قالتها واختفت.

صوت السجان يقترب ويعلمو: «مرحبًا بكاتبتي، لنبدأ يا عزيزتي».

القصة

لن أنسى أبدًا تلك المرأة التي تُدعى «أمينة»؛ لم تكن أمينة بالمرّة، كان لها قريب يعمل مهندسًا بالخليج متزوج ولديه طفل رضيع، عاد حاملًا بعض النقود؛ اشترى منزلًا جميلًا وسيارة لا بأس بها.

نشب خلاف بينه وبين زوجته؛ بالطبع كان الطرف الثالث لفض النزاع هو أمينة التي ائتمنتها الزوجة المسكينة، وكانت تحكي لها

واعتبرتها والدتها إلى أن صار الأمر مستحيلًا بينهما، وأصبح الطلاق هو الحل.

بعد الطلاق ذهبت الزوجة لتحضر مستلزماتها من المنزل، وتفارقه مودعة إياه بدموع الأسف على طفلها الذي تركه والده غير مبال به.

وجدت الزوجة هاتف زوجها القديم في أشياءها ففتحته، ووجدته تاركًا صفحته الشخصية على الفيس بوك؛ فتحتها تلقائيًا فوجدت رسائل بينه وبين أمينة تخبره كلامًا سيئًا عن الزوجة المسكينة، بل والمصيبة الأكبر أنها وجدته على علاقة ببنت أمينة، وهي تبارك علاقتهما حتى تستولي على أمواله؛ كانت خطتهما كالتالي ابنتها تجذب الرجل إليها وهي تكرهه في زوجته وابنه، بالطبع كان الأمر قد انتهى بينها وبين زوجها؛ حاولت أن تنبهه لكنه لم يكثرث لحديثها، ونعتها بالكذب وانصاع لأوامر أمينة وابنتها، وترك طفله والمسكينة التي كان زوجها في يوم من الأيام.

مرت خمس سنوات كان قد تزوج ابنة أمينة ومرض مرضًا شديدًا، فسرت أمواله هي وأمها وخلعته بالمحكمة، حاول الرجوع لزوجته الأولى التي كانت تحبه قبل أن يفعل بها فعلته المهينة، فوجدها تزوجت من رجل آخر وتعيش في دولة أوروبية، عرف ذلك من صورها على الفيس بوك، وكان ابنه قد كبر ويحتضن الرجل ويقبله في سعادة يبدو ذلك من الصور، والرجل يحمل طفلة صغيرة فوق كتفيه يبدو أنها ابنته منها، والكل يضحك في سعادة غامرة، ضاعت آماله في استرجاع زوجته وابنه وحياته التي رفضها بسبب نزواته الشخصية، دائمًا ما يترك الإنسان نعم الله التي

بين يديه لبيحث عن غيرها، ثم ما إن يفقدها حتى يجد أنه كان مخطئًا من البداية، ولكن هل سيفيد الندم بعد الخسارة، لن تعود زوجته ولن تعود حياته، كان اختياره من البداية، وعليه أن يتحمل خطأه وحده.

انتهى أمر الرجل بأن ظل وحيدًا يعتصره المرض في إحدى المستشفيات الحكومية، أراه الآن ممددًا على سرير المرض، لا ينفك يترك صفحاتها على الانترنت وعيناه على ابنه الذي لم ولن يعرفه، وكل ذلك بسبب وسوسة واحدة مني لرأس أمينة.

الكاتبة: «أف، يا لك من ماكر تظل توسوس، وحينما ينصاع الناس إلى أمرك تدعي العفة».

أجبتها: «لا زلت أردد سؤالي هل أنا الفاعل، أم أنتم يا بني آدم؟». صمّتُ خيّم على المكان فلا هي ردت ولا أنا سألت سؤالاً غيره.

اليوم العاشر

انتظرت المرأة كي تعود لكن طال انتظاري دون جدوى، حتى بدأت قصة اليوم فانهلت على الكتابة في صمت.

القصة

قابلت شابًا ذات يوم يدعى «مهاب»؛ كان فاحش الثراء مفتقرًا للرحمة، مع هؤلاء القوم كل شيء مباح، الحقيقة أنا أتحرك معهم بحرية، حسنًا تعرف مهاب على تلك الفتاة الجميلة التي تدعى.. مم لقد نسيت اسمها، دعوني أتذكر فقد كانوا كثير، نعم نعم تذكرت «مودي»، فتاة شقراء من أسرة مرموقة جمعت بينهما صداقة، بالطبع ما اجتمع اثنان وإلا وكنت أنا ثالثهما، في ليلة مطيرة كانا قد شربا كثيرًا لا تدعوا الملائكية أعلم معرفتكم جيدًا ماذا أقصد بكلمة شربوا، بعد احتفالهم بميلاد «لولو» صديقتهم ثم تدخلت أنا بالطبع، واستطعت أن أخرج في هذه الليلة بمكاسب كبيرة تحسب لي كواحد من بني إبليس.

أفقا في الليلة التالية وقد علما أنهما ارتكبا الفاحشة، ولكن هل تظنون أن دوري قد انتهى؟ بالطبع لا، عليّ أن أقنع الشاب أن يتركها في مصابها وحدها، وأن يتخلى عنها، أشعر بنشوة النصر، استطعت، فعلتها الفتاة؛ سافرت خارج البلاد لتداري مصيبة كونها حملت سفاحًا بطفل غير شرعي ففي بلاد الغرب يتقبلون هذه الأشياء بسلاسة.

حقًا لم أقنعها أن تأتي بالطفل إلى مصر بعد الوضع، ولكنها عادت ربما تجد أملًا في مهاب، ولكنه رفض بل ونعتها بالخيانة،

وادعى أنه ليس طفله، كان عليها أن تتخلص من الطفل، حاولت جعلها تقتله لتحمل أوزارًا أكبر مما فعلتها، لكن قلب الأمومة وقف أمامي، في النهاية تخلصت من الطفل وألقت به أمام أحد المساجد وهربت.

بالطبع وجدته المارة وقاموا بتسليمه لإحدى دور الأيتام - في اعتقادي - أنه لم يكن طفل مهاب الأول، فقد كان هذا الشاب لعوبًا جدًّا وغرر بالعديد من الفتيات.

تربي الطفل كلقيط في الملجأ، ولكن هل تظنون أن دوري انتهى لم يكن دوري ليتهيأ أبدًا، بل لقد حرّضت المجتمع أن ينبذ الطفل الذي لا حول له ولا قوة؛ جعلته يعيش مأساة حقيقة أعتقد من سيقراً يومياتي كشيطان سيكرهني، ولكن هذه وظيفتي أيها القوم وعليّ أن أنجح بها بجدارة، كان عليكم أن تعطوني نيشانًا منكم لأنني أقوم بعملتي وبياتقان وبحرفية أيضًا.

تعامل الطفل بعنصرية شديدة من قبل كل من مروا بحياته البائسة، آه نسيت أن أخبركم لقد أعطوه اسمًا «صابر»، ربما ليصبر على ما يلاقيه من عنصرية من بني جنسه - لم نفعّلها نحن الشياطين مع بني جلدتنا - وتدعون في النهاية أيها البشر أنكم أفضل منا، حتى يُنبذ لفعلة لا يد له بها.

مرت السنون وكبر صابر وأصبح شابًا يافعًا، كان ذكيًا جدًّا، وكان يذاكر ويضع كل همه بالكتب، فقد كانت الكتب هي الصديق الوحيد الذي لم يعايره بشيء لا دخل له به.

التحق بكلية الهندسة ونجح بجدارة وكان الأول على دفعته، تتساءلون الآن هل تعين كمعيد؟ أنتم تحلمون! شاب تربي في ملجأ هل سيسمح له بذلك؛ لتكتمل سلسلة العنصرية ضده.

حاول أن يخفي تاريخه وعمل جاهداً ليدفع أموالاً مقابل تغيير اسمه ومكان إقامته حتى لا يعرفه أحد، وسمى نفسه « معتمصم»، دليل على ثباته أصبح معتمصم الآن يعمل في إحدى الشركات الكبرى التي تعمل بمجال الهندسة المعمارية، ومالك الشركة رجل ذو نفوذ يدعى «مهَاب»، بالطبع ظنكم في محله إنه والده مهَاب لم يتزوج إلا من عشر سنوات فقط، أصيب بمرض منعه من الإنجاب وكانت تعاييره زوجته، وطلبت الطلاق، بالطبع أصبح وحيداً بعد أن تركه شبابه وتركته صحته.

لا يعلم أن معتمصم ابنه حاول مهَاب التواصل مع النسوة اللاتي آتين بأطفال سفاح منه، لكن بعد هذه السنين كان لهن حياتهن الخاصة، ولم تتجاوب أي واحدة منهن معه، ولم يستطع أن يصل لأي من أبنائه، ظل معتمصم يعمل في الشركة ويقابل والده كل يوم دون علم منه، ويجمع ما استطاع من نقود حتى يهرب خارج مصر؛ ليجد قلباً حانياً عليه لن يسأله من أنت ومن أبوك؟

كان مهَاب معجباً جداً بجدارة معتمصم، وجعله يتقلد مناصب كبرى بشركته، بل لقد قام بتوصيله بنفسه إلى مطار القاهرة الدولي، وجاء له بوسائط كبيرة ليعمل في شركة دولية بنيويورك الأمريكية، وهو يودع معتمصم تذكراً موقفه مع تلك الفتاة مودي، وتمنى أن يرى ابنه منها لربما كان في سن معتمصم الآن، وعاد إلى بيته وحيداً كعادته.

وضعت القلم من يدها: «يا إلهي! لم يعلم أبداً أن هذا الفتى ابنه؟».

«بالطبع لم ولن يعلم أبداً، هذا جزاؤه يا عزيزتي، كل من يخطئ يعاقب تذكري ذلك جيداً».

اليوم الحادي عشر

ظللت بجوار الثقب أترقب كعادتي وقتًا طويلًا آخر دون مجيب، إلى أن سمعت صوت تلك المرأة يعود من جديد، فذب فيّ الأمل وكأنني طفل صغير يشعر بنشوة الحصول على لعبة جديدة كان ينتظرها قلت في لهفة: «هل من حل يا سيدتي؟ ساعديني».

المرأة: «الحل بين يديك أسماء، قاومي قاومي».

قالتها وانصرفت، لم أفهم ماذا تعني بتلك الكلمات المبهمة؟ ماذا تقصد؟ كيف لي أن أقاوم، أنا حتى لا أعرف أين أنا؟

قصة اليوم

صديقتي العزيزة «سمراء» لن أنساكي أبدًا، أهدي إليك يومي هذا، وأعدك عندما أخرج من محبسي بعد انتهاء رمضان سأذهب لزيارتك، بالطبع تريدون أن تعرفوا من هي سمراء؟ إنها صديقتي من بني البشر هذه الفتاة منذ صغرها كانت مميزة جدًا.

كم أحببتها، كنت لا أبذل أي مجهود في التفكير لها، فقد كنت أحيانًا آخذ من أفكارها الشريرة، صديقتي العزيزة كانت كتلة متوهجة من الشر، كان لديها أخ عديم الشخصية، ولكنه يملك أموالًا طائلة يغدقها عليهم، فكان عليها أن تختار له فتاة ضعيفة تستطيع السيطرة عليها حتى تضمن أموال أخيها.

بالطبع الزواج في بيت العائلة كما العادة بالصعيد، حسنًا بعد تفكير منها اهدت لأن تختار له فتاة تدعي «سامية» من أسرة طيبة، الفتاة

كانت منكسرة وضعيفة، وكانت تسيطر عليها سمراء بكل السبل، بل وكانوا يحملونها فوق طاقتها، كانت سمراء والدتها يتبادلان الأدوار أحياناً لإذابة الفتاة المسكينة كافة أنواع العذاب إلى جانب سكوت الزوج عما يحدث، بل وتهيبجه تجاهها لضربها، وقد كان أحرق ينفذ دون وعي.

كل هذا بسبب النقود، أنجبت سامية ولدًا وبتًا، والحياة تزداد مرارًا يومًا بعد يوم، إلى أن قررت سامية أن تتعد وتكف عن مساعدتهم في المنزل، هنا استشاطت سمراء وأحست أن سامية تريد أن تسحب البساط من تحت قدمها، وقررت الانتقام منها، ولفقت لها تهمة لتجعل أخاها يضربها ويطلقها، لكن في ذلك اليوم توفي زوج سمراء إثر حادث مروع ولم تستطع إكمال مهمتها.

منذ وفاة زوجها وهي تحس أن سامية انتصرت عليها، بل وتشمت فيها، فقررت أن تحول حياتها إلى مأساة حقيقية، لم تترك كذبة إلا ولفقتها لها، وكانت المسكينة صابرة ورغم ذلك حاولت الرجوع إلى بيت أهلها كثيرًا، وكانت والدتها تعيدها إلى زوجها مرة أخرى خوفًا من معارضة القوم لها لو طلقت ابنتها.

إلى أن بدأ أخوها يحب زوجته سامية وأبناءه منها وتوقف عن ضربها، وكانت هذه هي القاضية بالنسبة لسمراء، لم تعلم كيف تتخلص منها، فقد عملت كل ما في وسعها والأخرى ثابتة لا تتعزع، إلى أن جاءت ليلة شتاء باردة كانت تصحو سامية كعادتها تشعل الحطب في وقت متأخر من الليل لتدفئة البيت الكبير؛ الذي تقطن فيه مع زوجها وأسرته، وخاصةً أن غرفة طفليها بجوار مكان التدفئة.

أشعلت الكثير من الحطب وجلست تتدفاً قليلاً بجواره والكل نائم، حقيقة أنا لم أفعل شيئاً إلا أنني أيقظت سمراء من نومها، وقامت هي بالباقي؛ قامت بإلقاء المسكينة سامية على النار، وبدأت النيران تشتعل في ملابسها، وسمراء واقفة تبتمس فأمسكت ببعض الحطب المشتعل وبدأت تكمل على باقي جسدها والمسكينة تصرخ، وما أن أحست بأن هناك أحد قادم حتى جرت سمراء مسرعة حتى لا يراها أحد.

كانت سامية قد أصيبت بحروق قاتلة، وتهتك جهاز التنفس والكلام تماماً، ولم تستطع الحديث لتخبرهم عن فعل هذا بها، ولكن المسكينة لم تنجُ لقد ماتت سامية، جاءت والدتها تستلم جثة ابنتها وهي تبكي، وتنوح نادمة على تركها معهم وعدم تطليقها من هذا الشخص عديم الشخصية، ولكن هيهات أن ينفع الندم بعد ما كان، اختبأت ابنة سامية التي كانت في السادسة من العمر وراء جدتها وهي ترتعد وتخبرها أن تأخذها معها ففعلت، وما أن دخلت الطفلة المنزل حتى حكّت لجدتها أنها كانت واقفة وراء النافذة ورأت ما حدث، وكيف أن عمته سمراء قتلت والدتها، حاولت الجدة المسكينة أن تثبت الكلام ولكن لم يصدقها أحد ولا حتى الشرطة أنصفتها، واتهمت سامية بالانتحار وأقفل المحضر على هذا.

بقيت الطفلة مع جدتها وأهل الزوج تمسكوا بالولد فهو أهم شيء، أما الفتاة فغير مهمة بالنسبة لهم، بعد أن تخلصت سمراء من سامية قامت بتزويج أخيها من إحدى الفتيات اللاتي اعتقدت أنها طيبة وحمقاء؛ لتكمل سيطرتها، ولكن الله لا يغفل، كنت أخاف أن ينتقم الله

لسامية ويحرمني من سمراء صديقتي التي كانت تأتيني بأفكارها النيرة، ولكن الله لم يترك ظالمًا أبدًا يمهله ولا يهمله، فقد سيطرت الزوجة الجديدة على أخيها تمامًا بل وحاولت التخلص من سمراء، ودخلت حجرتها دون أن تراها ووضعت السم في «الزير» الذي تشرب منه وخرجت مسرعة، ذهبت سمراء إلى الزير لتحضر بعض الماء وتصنع عصيرًا لأطفالها الصغار وهي تغني وتدندن بسعادة؛ لأنها واتتها فكرة للتخلص من الزوجة الجديدة، وخاصةً أن الزوجة الجديدة قد أنجبت فتاتين لأخيها ولم تنجب الولد المنشود، صنعت عصير ليمون شهي لأطفالها وأعطته لهم وما هي إلا بضع دقائق وسمعت صريخهم، وفجأة توقف كل شيء، أطفالها الثلاثة قتلى أمام عينها لا حياة فيهم.

اتهمت سمراء بقتل أبناءها وتم إيداعها بالسجن المؤبد، كم حزنت عليها؛ فقد كانت عبقرية في الشر توقفت عن الحديث مع الناس، واعتزلتهم حتى أنا لم آخذ منها أفكارًا، ولكني أعدها أنني بعد خلاصي من محبسي هذا سأذهب لزيارتها لربما عادت لرشدها الأول، وساعدتني من جديد.

اليوم الثاني عشر

صوتها يعود مرة أخرى تسألني: « كيف حالك اليوم؟ ».
أنا: « لست بخير أريد الخروج من هنا ».
قالت في هدوء: « أشعر أن موعد خروجك اقترب ».
« كيف؟ متى؟ ».

أخبرتني أن أحدهم يناديها، ومضت في طريقها تاركة لي مزيداً من الحيرة، أنا حقاً لا أفهم شيئاً منها، حاولت أن أعصر رأسي ليفهم لكنني استسلمت، يبدو أنني سأستسلم، والآن وقت الكتابة قد حان، إلى القصة الجديدة.

القصة

في عرض البحر يحدث ما لا يتخيله بنو البشر! في عرض البحر أسيطر على عقول كثيرة يا بني آدم، فمع الأمواج وعمق المياه تضيع أحلام وأجساد لا حصر لها.

اليوم سأكتب عن الفتى «حسين»، لا أعلم لِمَ تذكرت قصته من ضمن آلاف القصص التي كنت سبباً في محو ذكراهم من الحياة، ولكن ذلك الفتى أكثرهم تأثراً بي.

كان حسين في الرابعة عشر من عمره، وكان لديه ثلاثة إخوة غيره، والده أحس بضيق الحال وقسوة المعيشة وقرر السفر خارج مصر، فقام ببيع كل ما يمتلك للهجرة خارج البلاد، وأثناء العودة أعطى لحبيبي «عاصي» نقوداً كثيرة، لا أخجل أن أقول عنه حبيبي، الحقيقة لم

يكن هو الأول الذي يدفع له نقودًا للهجرة، فقد كان عاصي كغيره ممن يخضعون لي، رجل قوي يستمع لوسوساتي وينفذها بدقة.

القصة تبدأ بنقود كثيرة تدفع لسفن الموت، هكذا لا بد أن يُطلق عليها، نعم سفينة كبيرة لنقل الركاب والبضائع في عرض البحر، ولا أمانة لصاحبها.

اقتنع والد حسين بالسفر خارج مصر ليجد لقمة عيش له ولأولاده؛ الأمر الذي دفعه لبيع كل ما يملك مقابل العمل هناك حتى يضمن كغيره حياة آدمية يعيشها.

في أثناء الولوج إلى السفينة فوجئ الوالد بعدد مهول من البشر داخل السفينة، استطاع عاصي الاستيلاء على نقود كثيرة جدًا وتحمل السفينة فوق طاقتها من البشر، أناس من مختلف الأعمار أطفال وشيوخ ونساء، حين وصلت إلى منتصف البحر بدأت السفينة يخرج منها نيران كثيفة لا يُعلم مصدرها، هرول الناس ناحية القبطان، والذي طمأنهم أن كل شيء بخير، وأنه لا داعي للخوف.

وسرعان ما بدأت السفينة بالغرق، أنا كواحد من الأبالسة كانت سعادتي بالغة، فقد جعلت القبطان يهرب ويترك آلاف الأرواح تموت بهذه الطريقة المشيئة.

حمل الأب ابنته الصغرى وأمسك بيد ولده حسين وهرول ناحية قوارب النجاة، ووضعهما بها وأخبر ولده أن يحترس لأخته حتى يجد والدته وباقي إخوته، وتركهما ومضي بعيدًا.

أمسك حسين جيدًا بيد أخته الصغرى، ولكن سرعان ما امتلأ قارب النجاة على آخره وبدأ يغرق هو الآخر والناس تموج فوق بعضها البعض،

نحيب وصراخ أفلت الموج وشدة الزحام يد أخته منه، حاول السباحة لينقذها لكن الماء كان أقوى منهما ابتلعها كالإسفنجة، كان يصرخ ويستغيث دون أن يستمع له أحد، رأى بجواره أم حامله طفلها الصغير فوق كتفها خشية الغرق، ولكن الماء ابتلعها ووليدها أيضًا، بدأ الفتى يرى من كانوا حوله تبتلعهم المياه واحدًا تلو الآخر، فخاف وبدأ يسبح مبتعدًا إلى أن وصل إلى سفينة كانت تقترب من بعيد، فبدأوا بانتشاله.

وأسرعوا به إلى السلطات المصرية والتي أعادته إلى جدته، عاد ليجد نفسه هو الناجي الوحيد، فقد غرق والداه وإخوته جميعًا، كاد عقله يطير من رأسه، فبعد هذا المرار والقسوة التي عاناها كيف له أن يعيش وخاصةً أنه تم انتشال بعض الجثث ووجد لها قبرًا، وهناك من لم يتم انتشال جثثهم؛ كان من ضمنهم أهله، فكان للفراق مذاق مختلف بالنسبة له، وهذا كله بسبب الجشع وحب المال الذي غرسته أنا بلا فخر - ابن إبليس - بداخل ملاك السفينة، بل بداخل أغلبكم يا بني البشر.

انتهت قصة اليوم تاركة بي حزن لا يقاوم، إنني أشعر بالخيبة الشديدة، كلما حكى لي عن قصة أفتنع أكثر أننا كبشر مجرمون بحق أنفسنا قبل حتى إجرامنا في حق أتباع الشيطان.

اليوم الثالث عشر

لم أكن بتلك الحماسة كما بالسابق عند انتظاري بجوار الثقب، بل مددت يدي في بطن شديد وأنا أحيل عنه الغطاء إلى أن وضعت يدي على فمي؛ لأنكم صرخة كادت تخرج مني؛ إنه الثقب لقد أُغلق كيف؟ أكاد أجن! يا إلهي! ما الذي حدث، هرولت بسرعة وأحضرت السكين، وأخذت أنقب الحائط وكأني عدت لنقطة البداية، وأخذت أضرب مكانه بالسكين في جنون مني، وأنا أبكي لم أستطع أن أكبح تلك الدموع من السقوط، وأنا أضرب وأضرب ثم ألقيت بالسكين بعيداً واحتضنت الحائط وأنا أضربه بيدي دون وعي حتى سمعت صوتها من جديد، حاولت أن أصمت حتى أسمع ماذا تقول: «قاومي لقد أخبرتك أن تقاومي، لا أعهد عليك الاستسلام».

مسحت دموعي وانتظرت لحظات وأنا أفكر في كلامها، والذي لا أفهمه لحظة تفكير واحدة عليها أن تقرر مصيري، اتجهت ناحية السكين، وأمسكت بها وبدأت من جديد، إلى أن عاد ولكن ثقب صغير لا يُذكر فأغلقتُه وبدأت أكتب.

القصة

أكره قصص الحب لطالما وقفت حائلاً بينها وبين نجاحها، عليّ أن أفسلها بأي طريقة فالحب يشعرني بالاشمئزاز، ولكنني أتلذذ به حين يرتكب باسمه الرذيلة والفواحش.

أقسم لكم أنني حاولت إفشال هذه القصة أكثر من مرة، بل حاولت دفعهم لارتكاب الفاحشة. سأصمت ولن أستبق الأحداث، ولتستمعوا جيداً لما حدث معهم.

«مها» فتاة جميلة كانت في ذلك اليوم مارة بجوار مول كبير؛ تشتري بعض الملابس حين قام بعض الفتية بمحاولة التحرش بها، ثم جاء شاب يهرول من بعيد وحاول إبعادهم ولكنهم أبوا، فاستعمل القوة وقام بضربهم ولكنهم بالطبع عصبة أقوى منه، فما كان منهم إلا أن انهالوا عليه بالضرب الشديد حتى تجمع الناس لتفريقهم، وانصرفوا بسرعة فور قدوم الناس حتى لا يعلم أحد سبب المشكلة فيقومون بمعاقتهم.

اليوم التالي بالجامعة لمحت مها من بعيد ذلك الشاب الشهم الذي قام بالدفاع عنها، وكان وجهه مليء بالكدمات من أثر الضرب، وذراعه موضوع عليها جبيرة يبدو أنها كسرت، فاقتربت منه في خجل وابتسمت له وشكرته على رجولته التي قلما نراها في زمننا هذا، ثم تركته ومضت في سبيلها، في تلك اللحظة دب حبها في قلبه وأخذ ينظر إليها حتى مضت بعيدة عنه وهو يتبعها ببصره.

أصبح يراها كل يوم، ويكبر حبها بداخله يوماً تلو الآخر، حتى جاء اليوم الذي رأى صورة لها في رحلة جامعية مع بعض صديقاتها، وقد قاموا بوضع الصور في جروب الدفعة.

ساعتها رأى التعليقات ووجد بريدها الإلكتروني من ضمنهم، فقام بفتح صفحاتها ومراقبة منشوراتها التي تنم عن فتاة رقيقة مهذبة بما تحمل الكلمة من معنى، زاده عشقاً وولعاً بها حتى قرر الحديث إليها ومصارحتها بما يجول في خاطره.

كانت الرسالة تحمل كلمة بألف معنى: «أحبك».

يبدو أنها هي الأخرى كانت تبادلها الأحاسيس، فما أن رأت رسالته حتى بعثت له برسالة بها أيقونة لوجه مبتسم وصمتت.

لسوء حظهم أنهم من قبيلتين مختلفتين، ولديهم قوانين صارمة تجاه الحب بل، والزواج من خارج القبيلة، لا نتكلم على روميو وجوليت والله حتى لا تقول الناس الفكيكة التي ستقول هذا، تقدم لها طبعًا ورُفض، حاول كثيرًا بدون فائدة إلى أن قررا أن يتقابلا عند المأذون، ويضعا أهلهما أمام الأمر الواقع.

حديثي هنا ليس على روميو وجوليت الشهيرين، ولكن قصة حب يتمناها أي بشري، ذلك الحب النقي الطاهر البعيد كل البعد عن ملذات أو شهوات، بينهما استمر حبهما نقيًا رغم أنني حاولت جاهدًا أن أجعل الشهوة تغلب عليهما؛ لكنهما كانا على غير العادة على خُلق ودين، لم يستمعا لوسوساتي ولو مرة واحدة.

انتهت الجامعة وتقدم الحبيب والذي بالمناسبة يدعى «عصام» لخطبة حبيبته، هل تعتقدون أن شيئًا كهذا مقبول في الصعيد؟ بالطبع رُفض رفضًا قاسيًا، بل وتم طرده، لكنه لم يستسلم وبعث إليهم بعض أهل العلم والدين ليردوهم عن تلك الأفكار الرجعية التي يحملونها في عقولهم دون جدوى، إلى أن قررا سويًا أن يتزوجا رغمًا عن الأهل، ويضعاهم أمام الأمر الواقع، بالطبع يعلمان جيدًا أن عواقب هذا الأمر ستكون وخيمة؛ إلا أنهما فضلوا الموت على أن يكونا لأحد غير بعضهما البعض.

كون أنني لم أستطع أن أجعلهم يغضبون الله ويفعلون الفاحشة أثار غضبي بشدة، فكانت مهمتي هي أن أثير عليهم الأهل، أعلم جيدًا أن من وضع قوانين مخالفة لقوانين دينه وربّه سينصاع لأوامري جيدًا.

وبالطبع حدث ما توقعته؛ حمل الأهل السلاح من الجانبين بعد أن وشيت لهما بمكان الشابين، فأصبح الوضع مأساويًا معركة طاحنة من كلا الجانبين؛ أصبحت الجثث في كل مكان، بل لقد جاءت طلقة طائشة ونفذت في رقبة الفتاة، فخرت واقعة أمام الجميع، توقف الضرب بعدما أصيبت الفتاة، التف الجميع حول مشهد دام لبعض الرجال من كلا الجانبين وفتاتهم التي قاتلوا لينالوها، جن جنون عصام وكأن الواقع فصل عنه، أخذ يضحك ضحكًا هستيريًا نظر الكل لبعضهم البعض وطأطأوا رؤوسهم خجلًا، فتركهم وجرى وهو يقول: «مها أنا هنا قادم إليك، لا تركبي القطار وحدك».

أصبح يهرول بين القطارات يبحث عنها، فقد كانا على ميعاد بعد زواجهم أن يتركوا البلدة ليعيشوا سويًا في المدينة، ضاع عقل الفتى، وماتت المسكينة بسبب عادات وتقاليد بالية وعقول متحجرة، بالطبع تلك العادات وهذه العقول هي من دواعي سروري، ففي النهاية ساعدتني لتنفيذ مهمتي بجدارة.

بالطبع مهمتي مع عصام انتهت الآن بعد أن أصيب بالجنون، وأصبح يجري في شوارع كل البلدان يبحث عنها إلى أن رآه شاب جالس بالمقهى، فضحك عليه وأخذ ينظر إليه، ويستهزأ به: «انظر يا صديقي إلى هذا المخبول يقول: اجلسي يا مها يا حبيبتى».

مهمتي مع عصام انتهت، ولكن هذا الفتى الذي يهزأ بغيره غير مبال بأي شيء هو مهمتي الجديدة.

اليوم الرابع عشر

أحاول أن أعيد الثقب إلى نصابه الأول حتى أجد تلك السيدة التي كانت تنصحنني؛ لعلني أخرج بسلام، فهذا ما أتمناه.

قصة اليوم

الأيام تمر بسرعة جدًّا، وسيتهي وقتي وأخرج أنا الآخر من محبسي، فلست أنا وحدي الحبيس هنا، نعم ستمر سريعة مثلما مرت على ذلك الرجل «حازم» والذي كان في عقده الرابع حين اكتشف الحقيقة المرة، تلك الحقيقة التي دمرت كل شيء عاشه.

توفيت زوجة حازم إثر انقلاب سيارتهم أثناء عودتهم من الساحل الشمالي، ودخل ابنه «مراد» وابنته «همس» العناية المركزة، أما هو فقد أصيب بكسر في ذراعه الأيسر وبعض التوتوش عندما أُلقت به السيارة من زجاجها، وارتمى بعيدًا، أما هم فقد انقلبت بهم عدة مرات. المصيبة الكبرى عندما جاءه الطبيب لإيجاد فصيلة دم أبناءه النادرة، والتي اكتشف بالمصادفة أنها ليست فصيلة دمه ولا حتى فصيلة دم أمهم، للحظة فكر ربما أخذوا من الجدود، ولكنّ الاثنتين بنفس الفصيلة شيء غريب، جمع شتات نفسه وذهب لدفن زوجته وبداخله يخبره أنه لا بد أن يبحث، الحقيقة أنا من أدخل في عقله الوسائوس، استطاع من خلال نقوده فقد كان رجلًا ميسور الحال أن يأتي لهما بنفس فصيلة الدم وينقذ حياتهما.

عاد إلى منزله، وبدأ يفتش في حاجيات زوجته كالمجنون،

إلى أن وجد إيصالات نقدية تحتفظ بها زوجته تبعثها كل شهر لرجل يدعى «عبد الموجود»، كاد عقله أن يطير منه، لما خبأت عنه الأمر والإيصالات، وبعضها قديم ومتسلسلة، فقد كانت تعطيه كل شهر النقود، بسرعة اتصل بمحاميه ليبحث له عن الاسم، وما هي إلا ساعة زمن حتى أعطاه العنوان.

ذهب وهو يجر خطاه متخوفاً مما سيلاقيه، فأبعد ما كان يتخيله منها هو الخيانة، طرقت على الباب حتى فتح رجل يبدو عليه علامات النعاس، وما أن رآه حتى جحظت عيناه، فأغلق الباب بقوة، أحس حازم أن هناك شيئاً فعلاً، فطرق بقوة على الباب وبدأ يهدده، فتحت زوجة عبد الموجود وهي تبكي فأزاحها ودخل عنوة وقال صارخاً: «أجيبوني الآن بالحقيقة، وإلا سأستخدم نفوذي في جعلكم تدمون على اليوم الذي ولدته فيه أمهاتكم».

بدأ عبد الموجود يسرد قصته، ولكن دعونا من حديثه، سأسرد أنا إبليس لكم القصة أفضل منه. في البداية والد حازم رجل فاحش الثراء لم يرزقه الله بالولد، وخاصةً أنه كان رجلاً كبيراً طاعناً في السن حينما توفي ابنه حازم الحقيقي، والذي كان يبلغ من العمر ٤ سنوات، ولأنه خائف من الورثة وكان يعيش عمره كله خارج البلاد، أقنع زوجته بتبني طفل في عمر ولدهما، ولن يشعر أحد بشيء، رضخت لأوامره وخاصةً أنها لا تملك خياراً آخرًا، فقد جاء هذا الطفل بعد سنين مشقة وعناء.

ذهبوا إلى الملجأ، وكان هناك طفلان أخوان اختارا أحدهما وأسماه «حازم»، وأصبح أمام الناس هو ابنهما الوحيد، بالطبع أنا من كان يأتيهما بالأفكار، وخاصةً حرمان الورثة.

دعكم من هذا، المصيبة الكبرى في زوجة حازم، فقد كان والدها قد أشهر إفلاسه، وعليها أن تعيد له شركاته وأمواله، فنصبت شباكها حول حازم للاستيلاء على أمواله هي ووالدها، لكن حازم لم يكن ليعطيها شيء قبل أن تنجب له أطفالاً، فقد كان والده على وشك الموت، ويريد طفلاً في هذه اللحظة، عرفت أنها لا تنجب، وكادت تنجن إلى أن عرفت بالصدفة السر الدفين لقصة حازم الحقيقي، وذهبت إلى الملجأ وأخذت عنوان أخيه الآخر عبد الموجود، وذهبت للتأكد بنفسها، كان ما يزال عريساً جديداً وزوجته في شهرها الأول، فأعطتهما فكرة جهنمية مقابل مبلغ من المال، اتفقت معه على أن يعطيها الطفل القادم وشرحت له الإرث الذي سيناله ابنيهما، وفرح وخاصةً أنه لن يعيش وسط الناس على كلمة من والدك؛ ليخجل من ماضيه الذي لا ذنب له فيه ولا حتى لوالده، ثم أن الطفل سيشبهه وخاصةً أنه عمه.

لكنها أنجبت توءماً فتاة وصبي، وأخذ الطفلان نفس فصيلة دم أمهما الحقيقية.

جن جنون حازم وخاصةً أن والده قد توفي، لقد عاش المسكين كذبة أكبر مما يتخيل.

دوري لم ينته بالطبع، أراد أن يعيد المال للورثة، لكني وسوست له بأن الله أبدله حياة أفضل ليس عليه التخلي عنها، فقرر أن يبقي الوضع على ما هو عليه، واحتفظ بالطفلين على اسمه، وعاش حياة طبيعية وخاصةً بعد أن قام الأطفال بالسلامة وانتهى الأمر.

اليوم الخامس عشر

عاد صوتها من جديد من وراء الجدران، لا أعرف من هي؟ لكنني أشعر بتحسن عندما أستمع لها، ربما لا تستطيع مساعدتي، ولكن وجودها بجواري يعطيني الأمل، استطعت اليوم أن أرى شفاهها؛ تبدو آدمية جدًا، لا أعلم أي عالم احتجزي فيه هذا الشيطان، ولكنني أصغي لتلك المرأة بإنصات شديد، بدأت تتحدث معي أحاديث عادية، وأصبحت أجاريها في أحاديثها لا يهمني مدى أهمية تلك الأحاديث على أن تبقى بجواري تشد أزري، لقد تصادقنا في تلك اللحظات الصغيرة التي أختطفها من الزمن بعيدًا عنه وبجواري معها، اليوم أخبرتني شيئًا عجيبيًا جدًا قالت: «أنا أمسك بيدك، أسماء تعلمين أنني أستطيع قراءة الطالع، حسنًا أمزح ليس بالتأكيد ولكنني أتسلى».

ماذا عنت بأنها أمسكت يدي من وراء الجدار الأحمق هذا؟ لكن الأغرب أنها حين قالت تلك الكلمات شعرت بوخز في يدي وكأنها كانت تلمسه حقًا.

القصة

«عتريس» شاب يقطن في إحدى قرى محافظة الأقصر بالصعيد، عتريس كان كأي شاب يريد الزواج والاستقرار، إلا أن ضيق المادة جعل والد حبيبته يرفض زواج ابنته منه، فقررت أنا التدخل وسوست له بالتنقيب عن الآثار حتى يحصل على ما يتمنى، الحقيقة كان فتى مطيعًا استمع لكل وسوساتي.

لجأ لثلاثة من أصدقائه ليتم التنقيب داخل منزله الذي يشك بوجود آثار به، وبدأت الرحلة، شهور من الحفر والتعب المضني حتى حصلوا على المكافأة أخيراً، فُتح لهم سرداب طويل بأخره ممشى محاط بممرات كثيرة على جانبيه جرار فخارية كثيرة، كانت السعادة لا تسعهم، فهرولوا يبحثون في كل مكان عن تابوت الملك صاحب المقبرة فالكنز كله مخبأ بداخله.

وما أن وصلوا إلى الحجرة المغلقة والتي تأكدوا أنها لا بد أن تكون حجرة الملك قاموا بسرعة بمحاولة تكسير الباب الجرانيتي المحيط بها، إلا أن الحجر لم يتتبع من مكانه، فقرروا في تلك اللحظة اللجوء إلى «بهنس» شخص ماكر يقال: إنه مخاو للجن يستطيع أن يفتح الحجر هذا؛ لأن الحجر واقف عليه خادم يسمى الرصد الفرعوني لا يتتبع إلا بشيئين:

الأول: وهو بعض الطلاسم الغريبة، والتي ما إن وصل بهنس وبدأ في تلاوتها كلها آملاً أن يناله نصيب من الكنز إلا أن الحجر أبى أن يفتح، وهنا كان لا بد لهم من اللجوء إلى الحل الآخر وهو «قربان»، لا بد أن يقدم لهذا الخادم قربان، وهذا القربان لا يكون إلا بدم بشري، إذن فعليهم القتل الآن.

كنت معهم خطوة بخطوة وأنا أجعلهم يتربصون بصبيبة القرية ليلاً لقتل أحدهم كقربان، إلى أن خرج طفل صغير يجري وراء قطة ليلعب معها، فكانت هي فرصتهم؛ انقضوا عليه بسرعة فائقة، وقاموا بتكميمه حيث إن الوقت كان متأخراً، ويبدو أنه خرج دون علم أبويه.

الفرصة الذهبية، أقف أنا سعيد وأنا أراهم يذبحون ذلك الطفل المسكين، وينثرون دماؤه على حائط الحجرة، وبالفعل انفتح الباب، ولكن أثناء انفتاحه بدأ الحجر الضخم يهتز، وكأنه نُسف بقوة تجاه أحدهم، والذي كان على مقربة منه فأرداه قتيلا في الحال.

بريق الذهب من آخر الغرفة جعلهم لا ينتبهون لصاحبهم الذي قضى نحبه، ولا حتى للغبار الشديد الذي استنشقه كله؛ توجهوا ناحية التابوت وقاموا بفتحه بقوة ووجدوا الملك نائما بقبيره مرصع بالذهب والأحجار الكريمة حتى تابوته كان ذهبيا.

كاد عقلهم أن يطير من السعادة، حتى إنهم لم ينتبهوا للسعال المتكرر منهم، إلى أن بدأوا يبصقون دما، وقعوا على أرض الغرفة بجوار تابوت الملك يتلوون من الألم إلى أن صمت كل شيء.

لقد لقوا حتفهم جميعا جراء الغبار المحمل بالمواد السامة التي خرجت فور فتح باب الغرفة، انتبهت السلطات لما حدث وبدأ فريق البحث العلمي يستكشف كينونة الملك الذي عُثر عليه، ولم يكثر أحد للطفل المسكين الذي فجع قلب أمه عليه حزنا ولا حتى لهم، ومن سيهتم؟! ألم يروا بأعينهم ملك من ملوك الأرض كانت له كنوز الدنيا، ولم يصب منها شيئا في قبره.

اليوم السادس عشر

انتظرتها كثيرًا، بدأت أنظر كل حين وآخر من ذلك الثقب الذي أصبح نافذتي الآن، عادت الهمسات ولا أشعر بشيء أين هي؟ لماذا لم تأتِ؟

ربما حدث مكروهٌ لها، أو أنها كرهتني وملت من تلك اللحظات القليلة التي تجلس معي فيها، أتمنى أن تكون بخير وأن تعود مرة أخرى.

القصة

علي أن أعترف أنه من أصعب المواقف لي والتي تضعني كواحد من الأبالسة في اختبار شديد.. حسنًا لن أقول الآن وأستبق الأحداث سأحكي لكم لتستشعروا ضراوة الموقف .

كان هناك حادث على الطريق الصحراوي؛ كعادته سيارة مارة محملة بمختلف أنواع بني البشر وحافلة كبيرة سائقها لم يتبته فكانت النتيجة مأساوية.

تريدون أن تعرفوا ما دخلي أنا بهذا، بل إنها فرصتي الكبرى فهناك حصاد للأرواح وحرب بيننا وبين الملائكة؛ هي ليست حرب بالمعنى الحرفي ولكن ما يحدث أننا نقاتل في الرمق الأخير لخروج الروح بضراوة شديدة.

تهياً الملائكة في تلك اللحظة لقبض الأرواح، أتذكر حين كنت مع الملائكة في السابق جنبًا لجنب وعصيت أمر الله لكنني لم أكثرث

الآن عليّ فقط أن أثبت له أنني أعظم مخلوقاته، فاختياره لبني آدم وتفضيلهم عليّ كان وقعه صعبًا على نفوسنا نحن الأبالسة.

الكاتبة: «ولكن الله يعلم وأنتم لا تعلمون، كيف لكم أن تتمرّدوا هكذا وتعصوا أوامرهم؟».

«أولم تعصوها أنتم يا بني آدم يا من اختاركم وفضلكم على جميع خلقه؟!».

أرى الصمت على وجهك أيتها الكاتبة، حسنًا لنكمل حديثنا.

كان أمامي شابان يحتضران، نعم الموت لا يفرق بين كبير وصغير ومهمتي الآن التي تعتبر من أصعب المهام هي أن أحيده عن الطريق، تعلمون أي طريق أعني.. ربما تتساءلون كيف هي مهمتي؟ حسنًا علي أن أذكر روحه الآن بأنها تحب الدنيا.. نعم أحدهم استجاب لي علي أن أجعله ينسى الله، ألا يتذكر دينه، إنها اللحظة الفارقة، ثم كان هناك هذا الشاب سهلًا بمجرد وقوفي بجوراه نسي ربه وتذكر معاصيه.. بل لقد رأيت ملائكة العذاب تتخطفه إلى حيث حجب عني، ولكنني أعلم أنه شر، لقد انتصرتُ، أشعر الآن بالنشوة؛ لذّة الانتصار على النفس البشرية ساعة الموت أعظم مكافأة لي.

الشاب الآخر كان هادئًا مبتسمًا، ظللت أحاور روحه وأذكرها بالدنيا لكن عيناه لم تراني حتى، رأيته ويدها ترتعشان وبصعوبة أخرج كتاب الله واحتضنه ثم فارقت روحه في سلامً بالطبع حفتها ملائكة الرحمة.

شعور بشع بالهزيمة ولكنني لن أعود لكبيرنا الخبيث حاوي اليدين؛ روح أخفقت مني والأخرى نجحت معها كان احتفالًا صاحبًا

في ذلك اليوم، فالدار الآخرة هي أكبر نجاح، لنا أن نجعل بني آدم يخرجون من جنانها كما أخرجنا والديهم منها.

أحادت بناظريها عن الورقة وقالت وكأنها تحدث الجدران في غيظ: «وكيف لك أن تشعر بتلك النشوة وأنت انتصرت؟! أما تعلم أن من عاش على شيء مات عليه، ليس بيدك شيء؛ من عاش على حب الدنيا مات عليها، ومن عاش على حب الله مات عليه، ليس ثمة نصر لك هنا إنها أعمالنا ورضا الله».

* * *

اليوم السابع عشر

مزيد من الانتظار وتلك الأصوات التي لا تُفهم، ورغم أنها خافتة إلا أنها أصبحت مع وحدتي ضجيج قاتل لا أريد الاستماع إليها، سحقًا لك أيها الشيطان الأحمق، سحقًا لتلك الأصوات الملعونة التي لا تفارقني.

القصة

«مجدى» طبيب شاب تخرج حديثًا، ثم تم تعيينه في إحدى الملاجئ الخاصة، المملوكة لسيدة فرنسية تدعى «صوفي» كانت تقدم خدمات للأطفال بمصر، وتدفع مبالغ باهظة تابعة لمؤسسة كبرى لرعاية الأيتام بالقارة الأفريقية؛ مجدى بالطبع كان سيجن من السعادة، فعمله في هذا المكان إضافة كبيرة لسيرته المهنية، وربما سيكون طريقًا ليفتح له آفاقًا أخرى بأماكن لم يكن ليحلم بها من قبل.

الأطفال كانوا في قمة النظافة، ويرتدون أجمل الثياب، لو رأيهم من لديهم والدان لحسدوهم على جمال حياتهم، بدأ يحفظ أسماء الأطفال، ويلعب معهم في أوقات الفراغ، حتى جاء في يوم واكتشف أن طفلًا جميلًا يدعى «حسن» اعتاد اللعب معه توفي، كاد يجن لقد كان حسن في صحة يُغبط عليها، حاول رؤية الجثة لكنهم أخبروه أنه تم دفنه فجرًا.

حزن بشدة عليه ثم ما لبث أن مر أسبوع فسمع باختفاء طفل آخر، وعندما سأل أخبروه أن هناك من قام بتبني الطفل ليلاً، بدأ الشك

يدب في قلب الطبيب الشاب، حاول معرفة أي معلومات عن الواقعة لكن الكل ملتزم الصمت، الكل خائف على لقمة عيشه.

بدأ يتجسس على المقيمين مع الأطفال لكنه لم يتوصل لشيء حتى وضع كاميرا؛ ليشاهد بنفسه ما يحدث ليلاً؛ إنه يعلم جيداً أن السر بتلك الغرفة التي لا يُسمح لأحد بالاقتراب منها، وقام بوضع كاميرا صغيرة وخرج مسرعاً ثم عاد بعد فترة ليأخذ ما تحويه الكاميرا من فيديو مصور لمعرفة ما به، وأمسك بالشريط المتواجد بداخلها والذي يحوي المعلومات وخبأه جيداً وأسرع ليُشاهد ما يحويه بداخله.

كان ما به فوق الوصف؛ لقد كان الأطفال يخضعون لتجارب استنساخ غريبة، إنها المرة الأولى التي يشاهدها فيها؛ ما أن يُوضع الواحد فيهم على سرير الأطباء، يتم تخديره ثم يدخل لجهاز غريب ويبدأ الجهاز في ربط دماء الطفل بجهاز آخر حيث يبدأ الآخر بدوره في تقطيع أجزاء من جسده، ووضعها على هيكل عظمي ملقى بالجهاز الآخر ليكتسي بلحم الطفل، ويبدأ في تكوين شكل جديد، ثم سرعان ما يصفر الجهاز فيجري الجميع ناحية الهيكل والذي يبدو بملامح مشوهة، ثم لا شيء؛ يلقون ما بأيديهم على الأرض في غضب، وتقف السيدة «صوفي» تعض على شفيتها من الغيظ.

أغلق مجدي الفيديو أمامه، وجلس يحدث نفسه يبدو أنه استنساخ، لا بل شيء آخر ثم ما هذا الهيكل العظمي الغريب؟ وما سره؟ في اليوم التالي قرر أن يعرف السر الدفين؛ أخذ يتلفت يميناً ويساراً محاولاً التخفي حتى لا يراه أحد، إلى أن وصل إلى الغرفة التي تحتوي الأجهزة الغريبة، اقترب وهو يتلع ريقه من الهيكل العظمي،

والذي يبدو لطفل صغير، وما أن وضع يده ليتحسسها حتى سمع صوتاً خلفه:

«ما رأيك يا مجدي؟ هل أعجبتك التجربة؟ ربما تستطيع أن تفك لنا طلاس الحياة التي عجزنا عن فكها».

تجمد في مكانه من الخلف والتف إليها إنها صوفي، أكملت حديثها: «هل تعتقد أنني لا أعلم بتلك الكاميرا التي تضعها، أنا أعني كل ما يدور حولي ولا يحدث شيء إلا بموافقتي».

تنفس جيداً واقترب منها وكأنه لا يهابها: «ما الذي تفعلينه بالأطفال أيتها المجرمة؟».

ضحكت ضحكة عالية: «ألم تسمع بدمية فرانكشتاين؟! إنه ابني موريس؛ لقد مات منذ عشر سنوات كان من المفترض أن يكون في التاسعة عشر الآن، ولكن الحياة أخذته مني وأنا أحاول أن أعيده وقد اقتربت من تحقيق هدي».

صرخ في وجهها: «حمقاء مجنونة لن يعود ابنك، الموت والحياة بيد الله، كيف يسول لك عقلك أن يعود ابنك من الموت!».

اقتربت من الهيكل العظمي وبدأت تربت عليه وكأنه حي يرزق: «اسمع يا مجدي أنا لا أؤمن بشيء في هذه الحياة إلا بالعلم، وسيعيد العلم لي ابني، أما عنك، فإن لم تنضم إليّ فأنا أسفة جداً».

لم يسمع أحد عن مجدي مجدداً، ولا يعلم أهله حتى الآن أين اختفى؟ لكنني أنا الرابع من جديد يا بني آدم.

اليوم الثامن عشر

لم تأت اليوم أيضًا، جلست أنتظرها كثيرًا ولكنها اختفت تمامًا، أخذت أبكي بحرقه شديدة إلى أن سمعت صوته مناديًا لقصة اليوم، ألقىت بالأوراق وبعثرتها، فوق نظري على تلك الورقة التي قالت لي فيها تلك المرأة: «تشبثي بالأمل»، فمسحت دموعي وقمت ألملم الأوراق المتساقطة وبدأت أكتب.

القصة

«ميسون» اسم لن أنساه أبدًا، الحقيقة لم أكن لأوسوس لها أبدًا، لقد كانت فتاة لديها شيطانها الخاص بعقلها استبدلته بي، كانت غريبة الأطوار لديها مرض نفسي غريب، هي مولعة بنفسها حد الجنون لم تكن بالجمال المطلوب حتى جسدها كانت تركيبته غريبة، لا يوجد به أي تناسب بالمرءة؛ لذلك كان ينفر منها الرجال.

ربتها والدتها على أنها أجمل ما في الكون، هي وحيدتها، وجاءت بعد سنوات عجاف؛ لذلك لم تكثرث الأم لكون ابنتها غريبة الأطوار أبدًا، بل دعمت غرابتها بكل ما تحمل من قوة، إلى أن توفيت وأصبحت الفتاة بمفردها بالمنزل، في البداية كان هناك «حمدي» ابن الجيران، والذي أحبته بجنون، ولكنه كان فتى مستهتر ويريد أن يتعلم كيف يجذب النساء، لذا اتخذها تدريبًا له ليصل إلى أغراضه، ثم يتخلى عنها بكل بساطة.

ميسون كانت مغرمة به جدًا، لم يخيل لها أبدًا ولو لحظة واحدة أنه سيتخلى عنها، ولكنها استمرت في حياتها رغم اختفائه المفاجئ والذي أحزنها بشدة.

بعد فترة تقترب من الثلاث سنوات تعرفت على ضابط يدعى «فهد»، كان يتحرك معها في كل خطوة حتى إنه أعطاها خاتم خطبة طارت به فرحًا، الغريبة أنها لم تكتشف تفتيشه المستمر في أغراضها، وتهكيره حتى لصفحتها الشخصية، اعتقدت أنها غير شديدة وازدادت تعلقًا به أكثر.

حتى عادت في يوم باكرًا إلى منزلها، ووجدته هناك ومعه قوة من الشرطة بانتظارها؛ كاد عقلها أن يطير لكنه وضع الأغلال في يدها، وجعلهم يسوقونها كالأنعام إلى سيارة الشرطة، وتم استجوابها عدة أيام حتى خرجت بكفالة لعدم استيفاء الأدلة.

بعد عدة أيام أفاق فهد ليجد نفسه مقيد بكرسي في غرفة غريبة مليئة بالأتربة حتى إنه ظل يسعل بشدة، أدار رأسه ليتحسس المكان، فوجدها غرفة ترايبية تبدو أنها تحت الأرض، محاط بالعديد من الأواني الزجاجية المليئة بالأعين المحنطة متوجهة إليه، اقشعر جسده من المنظر ثم سرعان ما وجد ميسون قادمة وفي يدها سكين صغيرة حادة وهي تبسم له قائلة: «لن تستطيع إدانتني أيها الضابط أبدًا، أرى أنني كنت سلم لك لتصل إلى ترقية ما».

أجابها في ذعر « أنت مجنونة حقًا، لقد وجدنا خيوطًا تدل على معرفتك ببعض الشباب الذين تم اختفائهم، وكان عليّ أن أثبت ذلك».

أجابته وهي تضحك: «لن أخيب لك ظناً، سأجعلك تذهب إليهم وتسالهم بنفسك عن سر اختفائهم»، وتعالى ضحكاتها، ثم أردفت قائلة: «أتدري منذ أن كنت طفلة كل من كان ينظر لي نظرة غبية كانت أمي تقتله وتحفظ لي بعيونه، أنا أحب العيون الخضراء (أمسكت بعين محنطة خضراء اللون) إنها من أجمل العيون التي آتي كل يوم لأنظر لها وتنظر لي، إنها لحمدي حبيبي حقاً لن أنساه».

أخذ الضابط يصرخ: «أنت مجنونة أطلقي صراحي الآن، اتركيني».

اقتربت منه بالسكين الحاد وهي تضعه ناحية صدره: «سأفتقدك كثيراً أيها الضابط، ولكن عينك البنيتين ستظل أجمل ذكرى».

اليوم التاسع عشر

يوماً آخر بدونها، أصبحت حياتي ما بين انتظارها وتلك القصص التي أكرهها من ذلك الشيطان، ربما بدأت أشعر من خلالها أننا حقاً كبشر مجرمون، ربما هو محق في كوننا قتلة، مختلين، تلك القصص التي يحكيها كل يوم أشعر أنها بدأت تعبت بعقلي.

القصة

تزوجت مرة من إنسية، غريب، ولكن الحقيقة كانت زوجة مطيعة رغم أنها استغلتي أسوأ استغلال، وكانت تستخدمني لخدمة أغراضها الدنيئة من السحر، إلا أنها غفلتني ذات يوم وأنا عائد من عمل كلفتني به ولم أجدها.

بحث عنها كالمجنون ولكنها اختفت، وكأنها تبخرت طار عقلي، هل وجدت شيطاناً غيري تكلفه بالأعمال ربما كان أمهر مني، طاح عقلي يفكر يميناً ويساراً دون جدوى.

إلى أن مرت السنوات وسمعت عن فتاة يقال لها: «المخاوية» يعني أنها تستطيع تسخير الجان، أخذني الفضول وأنا أرى الناس يتهافتون عليها، وكأنها سحرتهم بل وسلبت عقولهم.

كنت ساعتها مسخر على يد دجال يدعي «فرحات»، جن جنونه من تلك الفتاة وأمرني بقتلها. هناك من يستنفذ قواي بل ويمتص سحري كالمغناطيس كلما اقتربت منها، علمت أن سحرها قوي جداً لذا قررت ألا أقتلها بل أجعلها تساعدني في العثور على زوجتي.

كانت قوية كفاية لأن توثقني عندما حاولت الاقتراب منها، ثم أخذت تضحك وتسخر مني على محاولتي الاقتراب منها، رغم صغر عمرها إلا أنها بنفوذها وصلت إلى أن يأتيها الملوك ويلقى تحت قدميها الجواهر الثمينة.

حاولت مرارًا أن أفك وثاقي لكن قوتها ردعتني عن أي محاولة، حتى لجأت للحيلة للخلاص مما أنا فيه، واستدعيت كبيرنا إبليس فهو أقوانا، الآن إن كانت مؤمنة لن يستطيع معها شيئًا، ولكنها كانت - كما ظننت - سيطر عليها السحر لذا كان انتصاره عليها ساحقًا، فالآن قضي عليها تمامًا وجعلها تلك الساحرة اللئيمة تلقي بنفسها في النار بكل سهولة، فالروح التي لا تعرف الله تستطيع أن تتخطفها الشياطين، إلا أن السحر أحالني عن الخلاص فكان خلاصي على يد كبيرنا.

وقفت أضحك وهي تصرخ والنار مشتعلة بها، وإذ فجأة أرى زوجتي التي بحثت عنها لسنوات تدخل وتحاول إنقاذها وهي تصرخ، لوهلة ظننت أنني أتوهم ولكنها ظلت تردد: «ابتي ابتي»،

ناديت عليها وكانت الفتاة ساعتها قد نفذت وقت مساعدتها، وأصبحت جثة هامدة، فوقفت زوجتي ترتعد من هول الموقف، وقالت وقد جحظت عيناها وهي لا ترفع عينيها عن الفتاة: «هل أنت الفاعل؟».

سكتُ، فعلمت أن لي يدًا فيما حدث، فرفعت ناظريها تجاهي قائلة: «لقد قتلت ابنتك بيدك، فلتنعم الآن أيها الشيطان.»

تجمدت مكاني لا أعني ما يحدث، لقد كانت النار قد أحرقت الفتاة تمامًا، فوجدت زوجتي تحتضن يديها كوضع

المومياءات الفرعونية، وتنام فوق النار التي أحرقت ابنتنا وعيناها تكاد تنخلع من وجهها من هول منظرها، لم تصرخ ولا صرخة واحدة وهي تحترق حتى انتهت تمامًا، كم كنت أحمق أعلم أنها باعت روحها للشياطين، فكان عقابها النار في الدنيا والآخرة. جرجرت ذيول هزيمتي و حزني ولم أتزوج بعدها لا من إنسية ولا من بني جنسي حتى، فقد كانت هذه الفتاة هي ذريتي الوحيدة بالدنيا.

* * *

اليوم العشرون

جلست بجوار الثقب، وأمسكت بالأوراق التي أكتب فيها القصص غير مبالية بمحتواها، وبدأت أرسم دون أن أنظر حتى انهلت على الورقة أرسم بطريقة جنونية، وحين نظرت إلى ما رسمته بعدما انتهيت وجدت وجه امرأة غريبة لا أعرفها، كيف لي أن أرسم هذا الوجه؟ لم أكثر وألقيت بالأوراق بعيداً عني وانتظرت أن أكتب قصة اليوم.

القصة

تحالفت ذات مرة مع شاب، واتفقت معه على ترقيته بالعمل مقابل تلبسي بشكل بشري، وتقديمي للناس على أنني أخيه «شاكراً»، الحقيقة أعطيته خطة محكمة لقتل منافسه، لم يعلم أحد أبداً أنه الفاعل بعدها.

كوني شاكر كان غريباً جداً، فهذه المرة الأولى التي أمشي بالأسواق ويراني الناس وكانني شخص عادي، شخصية شاكر منحني قوة غريبة، أخيراً لن يسخرني بنو آدم أو أكون مضطراً للوسوسة لهم باستمرار.

تم تعييني في شركة تجارية كمندوب مبيعات، أعلم أنها وظيفة في تناول يد الجميع ولكن كوني شيطان وأعمل مندوباً شيء جديد. كانت هذه الوظيفة تتيح لشاكر دخول أماكن كثيرة، والتعرف على نوعيات جديدة من البشر، حتى اليوم الذي تعرفت به على «مي»؛ كانت فتاة مجنونة، جربنا معاً كل شيء، يا إلهي! كنت أعتقد

أنها توسوس لي من التصاقي المستمر بها؛ حتى جاء اليوم الذي همست لي في أذني: «عزيزي جربنا كل شيء ولم نجرب اللحم البشري» مجنونة حقًا لحم بشري! يا إلهي! حتى أنا كشيطان لم يخطر ببالي، نسيت أن أخبركم أنها كانت طالبة بكلية الطب، جربت كل شيء على الجثث إلا طعمها، لكنها أصرت أن أحضر لها شخصًا حيًا، لا أعلم لِمَ كنت أنساق وراءها كالأحمق، ربما هذا الجسد البشري أحبها.

فكرت ولم أجد أمامي إلا ذاك الشاب الذي ساعدته في قتل غريمه، هو الوحيد الذي باستطاعتي إقناعه بالمجيء، وما أن جلبته لها حتى أمرتني بتكثيفه وهجمت عليه كالصقر وهي تشم جلد رقبته وتغرز مشرطها به وتعلق الدماء.

كانت غريبة حقًا لكنها تعجبي، في هذا اليوم صنعت لنا حساء ساخنًا ببعض من لحمه، كانت تتناول الطعام بشراهة لكنني لم أهتم، وبادلتها الشعور بالنشوة ونحن نتناول ذلك البشري الأحمق.

حتى جاء اليوم الذي كنت عائدًا فيه من العمل، ووجدتها تعلق المشرط وتقترب مني بخطوات بطيئة وهمست في أذني كعادتها معي ولكن هذه المرة مختلفة: «عزيزي رائحتك مميزة وأنا أبغي تذوقها».

أسرعت لتلتف بذراعيها حولي لقتلي، قاومتها ولكنها كانت قوية، دفعت بي بضربة واحدة عرض الحائط فأصابتنني، وأفقدت الجسد البشري الواعي، وبسرعة هرولت خارجًا من ذلك الجسد وتركتها لها، وهي تغرز أسنانها الحادة به وتلتهمه نيبًا.

ثم نظرت لي وابتسمت، تعجبت لأنها تراني، فمسحت مشرطها
بلسانها واقتربت مني قائلة: «الآن علمت لِمَ رائحتك مختلفة أيها
الشیطان».

سألته في ذهول شديد: «من أنت؟».

ما زالت مبتسمة وهي تجاوبني: «أنا نتاج تجربة ناجحة؛ هجين
من امرأة بشرية ولبوءة شرسة، أستطيع رؤيتك لأنني أحمل جينات
حيوانية أيها الشيطان الأحمق».

وتركتني وذهبت لتكمل ما تبقى من الجثة، فغادرتها مسرعًا ولم
أعد.

* * *

اليوم الحادي والعشرون

سمعت صوتها من وراء الجدران فانتفضت بسرعة ناحية الثقب، وجلست في لهفة لأعرف ما الذي جعلها لا تأتي، كان صوتها حزينًا جدًا: «عذرًا يا عزيزتي إنه ابني مريض جدًا، واشتد عليه المرض الأيام الماضية حتى كدت أفقده».

حزنت لأمرها جدًا: «ليتني أستطيع مساعدتك أيتها السيدة التي لا أعرف اسمها حتى».

«اسمي: رقية».

«لا تعلمين حقًا ماذا تعنين لي؟ إن صوتك حنون جدًا يذكرني بأمي، أرجوك لا تتركيني ثانية».

«أسفة على عدم مجيئي، لن أتركك مرة أخرى».

القصة

لن أنسى أبدًا كشيطان الرجل الشجاع جهيمان؛ هذا الرجل كان قويًا جدًا لدرجة أنني استطعت أن أجعله يفعل كما فعل أبرهة سابقًا لهدم الكعبة.

استحوذت على عقله وأقنعت أنه يسير في خطى ثابتة صحيحة، والجميل أنني غررت به حين وضعت أمامه بعض الأدلة على ظهور المهدي المنتظر، والذي ينتظره كثير من أهل العلم، لقد أخبر النبي عن بعض العلامات لظهوره، من هنا دخلت أنا لجهيمان وأقنعته بأن صهره على اسم المهدي، فقد أخبر النبي أن المهدي سيكون اسمه محمد بن عبد الله، وكان الشاب كذلك.

أعطيته الفكرة فقط لا تظلموني، وهو من قام بالتنفيذ للخطة؛ أعد العدة وذهب في موسم الحج، وعند صلاة الفجر حضر وجماعته ومعهم نعوش لصلاة الجنازة، صلى الناس وبعدها أخرجوا أسلحتهم وبدأوا في السيطرة على الحرم المكي، كنت في قمة السعادة وأنا أجد بيت الله الذي حرم فيه القتال يُفعل به هذا، بل وسيطر على الحجاج ونشروا الرعب بينهم، حاولت قوات الحرس المكي السيطرة عليهم لكنهم فشلوا مما جعلهم يستعينوا بالجيش، وبعد حصار ثلاثة أيام لهم والقنص المتبادل بين الفريقين أودى بحياة كثير من كلا الطرفين؛ خربت على المسلمين الحج ذلك العام، وكنت سعيدًا جدًا بما أفعل.

بعد انقضاء مدة الأيام الثلاث دخل الجيش بمدروعاته ودباباته إلى ساحة الحرم المكي، واستطاعوا قتل عدد كبير من أتباع جهيمان، بل وقتل محمد بن عبد الله القحطاني صهره والذي ادعى أنه المهدي. حُكم على جهيمان ومن معه بالإعدام، حقيقة كانت من أجمل الذكريات لي كشيطان، فقد ذكرتني بحادثة أبرهة ذلك الملك الذي أراد هدم الكعبة بعدما استمع لكلامي.

يكتب آخر الصفحة:

القصة حدثت في ٢٠ نوفمبر ١٩٧٩ والتي تُعتبر من أشهر الحوادث بالحرم المكي في العصر الحديث كانت بقيادة جهيمان العتيبي، والذي لم يهتم للعلامات الصحيحة التي وردت في السنة النبوية ومنها ﷺ

انتشار الأسواق.

ظهور النساء الكاسيات العاريات.

- انتشار التجارة حتى تخرج المرأة تساعد زوجها فيها.
- شهادة الزور.
- انتشار الأمراض والأوبئة التي لم تكن في الأمم السابقة.
- كثرة البخل.
- ضياع الأمانة.
- استحلال الخمر والزنا والميسر.
- كثرة الكتابة والعلم وقلة الفقهاء بالدين.
- موت الفجأة وقد كثر بشدة الآن.
- إمارة السفهاء.
- أن تعود جزيرة العرب جنان وأنهار.
- ظهور شرطة يجلدون الناس بلا وجه حق.
- تداعي الأمم ضد المسلمين.
- قطع الأرحام.
- وهذه بعض من العلامات الصغرى.
- لمزيد من المعلومات راجع الصحيحين البخاري ومسلم.

اليوم الثاني والعشرون

جلست أنا ورقية نضحك كثيرًا، لا أعلم من أين جاء كل هذا الضحك، ولكننا ظللنا نتحدث عن أشياء غريبة، عرفت اليوم بعض المعلومات عن حياتها، إنها تعمل منقذة للأرواح ربما هي ملاك أو ما شابه، أنا، أراها كذلك، فهي تهون عليّ ما أنا فيه.

القصة

«هبة عبد الستار» فتاة ذيع خبر مقتلها في كل وسائل الإعلام، وتهافت على نشر خبرها كل من كان يريد الشهرة، تلك الفتاة كانت عادية جدًا، بالكاد تعرفت الشرطة على جثتها، فمن قتلها قام بحلق شعرها كله، وتشويه الجثة بالحرق بطريقة مشينة جدًا، الأمر الذي حير كل من كان يعرفها، تلك الفتاة كانت هادئة تمامًا ليس لديها أعداء.

كانت على صداقة وطيدة بثلاث فتيات «نقى» وتلك الأقرب إلى قلبها، فقد أصيبت بانهيار كلي بعد مقتلها، وبالكاد كانت تستفيق لتأكل؛ الأمر الذي دفع الاثنتين الباقيتين «نانسي» و«علياء» لمحاولة التخفيف عن صديقتهم حتى تهدأ قليلًا.

في إحدى الأيام دخل أهل الفتيات الثلاث بسرعة إلى غرفتهن والذين كانوا على مقربة من بعض بسبب صداقة بناتهم، ويبدو أنهم علموا بما يخططون له، وما أن دخلوا الغرفة حتى وجدتهن يقمن بطقوس الشعوذة لجلب روح صديقتهم لمعرفة قاتلها، الأمر الذي جعل الأهل ينهروهن بشدة عن تلك الأعمال المشينة، ويأخذن منهن وعدًا بعدم تكرارها مرة أخرى.

لكن الفتيات بدأن يصرخن جميعًا بعد تلك الواقعة وعلى لسانهن كلمة واحدة وهي: ”محسن القاتل“، بالمناسبة محسن هذا كان خطيب هبة، وقد ضغطوا على الأهل لإبلاغ الشرطة عن محسن، لكن ليس هناك دليل للقبض عليه، ثم ما هي حججهم أنه القاتل، توقف الأهل وبدأوا في مراقبة الفتيات عن كثب لأنهم على علم أنهن لن يتركن محسن في حاله، سيسعين لمعرفة الحقيقة وكانت ظنونهم في محلها.

في إحدى الأيام هجمت الفتيات على منزل محسن، وهن يصرخن في وجهه، ويبحنن كالمجنونات عن خيط لإدائته حتى صرخت تقى وابتعدت وهي ترتعد، لقد وجدت شعر هبة، نعم إنه لها، شعر طويل مقصوص حتى إن به قطعة من الشريط الملون الذي أعطيته هدية لها. أمسكت بالشعر وأخبرت الأخريات واللاتي بدأن بضربه وهو يحاول الخلاص منهن، بالطبع سمع الأهل أصواتهن من الخارج، فقد كن مراقبات، فقاموا بالهجوم على محسن فور معرفة الخبر، وتكثيفه جيدًا والاتصال بالشرطة، والتي جاءت ووجدت أيضًا خاتم خطبتها في حجرته.

تم القبض عليه، وأقفلت القضية على هذا، ولكن سرعان ما أفاقت تقى وعلياء على خبر مقتل نانسي بنفس طريقة مقتل هبة. ارتعد الأهل وبدأوا في محاولة الهروب بفتياتهم المتبقيات، لقد كانت تلك الحادثة كفيلا بأن يخرج محسن براءة بتهمة تليف الأداة له، قبل أن يللمم أهل علياء حاجياتهم كانت قد وُجدت مقتولة بنفس الطريقة، لم يتبق إلا تقى والتي كانت في حالة نفسية سيئة وتقول كلام

غريب، وضع والدها كاميرات تصوير في كل ركن بالمنزل، وكان يراقب عن كثب، ولكن لقد قتلت تقى أيضًا، كاد عقله يطير، فجرى مسرعًا يبحث كالمجنون في الكاميرات التي وضعها، فوجد المفاجأة لقد كانت هبة تنظر للكاميرا وتبتسم وهي تغلقها.

كاد الأهل أن تطير عقولهم من هول الصاعقة، كيف حدث هذا؟ لقد حلت الشرطة الأمر واتصلوا بالأهل، لقد رصدت كاميرات المطار صورة لمحسن وهبة وهم يغادران مطار القاهرة الدولي إلى دولة أجنبية.

الحقيقة التي كانت صاعقة على الجميع لقد أخرجت الشرطة الجثة، وبعد تحليلها اكتشفوا أنها ليست هبة، كل هذا كان ملفقًا، لقد كانت الفتيات جميعًا هبة وتقى وعلياء وناسي، ومعهم الشاب محسن متورطين في سرقة محل المجوهرات الكبير الذي ذيع خبره في كل مكان، فقد كانوا جميعًا على دراية بأمور فك الشفرات والمواد الكيماوية، والذي ساعدهم في ذلك هو تخصصاتهم العلمية.

بعد أن قاموا بالسرقة طمعت هبة ومحسن في المال، وكان ما حدث هذا كله من تخطيطهم للحصول على نصيب الأسد. لم يتوصل أحد لمكان هبة ومحسن حتى الآن.

اليوم الثالث والعشرون

أخبرتني رقية أنها تملك هدية لي، كدت أطير من السعادة
أغمضت عيني لأتخيلها لكنني لم أصدق أبدًا أنها ستكون بتلك الروعة،
لقد أسمعتني صوت أمي، قالت لي: «أحبك يا بنيتي»،
لا أعرف كيف جاءت بأمي، أو كيف سمعت صوتها، لكنها
بثت الأمل بداخلي، لم أسمع منها إلا تلك الكلمة التي شعرت بها أنني
عدت أقوى من ذي قبل.

القصة

تذكرت اليوم حكاية أخوين لم يحدث بينهم كما فعلت مع قابيل
وهاييل بوسوسة واحدة مني، إنما... حسنًا انتظروا فحكايتهم مختلفة
تمامًا، كان «عزيز» و«كرم» يقطنان بمنطقة شعبية فقيرة معدمة بمحافظة
الجيزة، بالطبع لم يهتم الأهل بالعلم ولا الدين، فسيعهم المستمر
على لقمة العيش لم يفسح لهم المجال لأي قرش خارج عن إطعام
صغارهم.

استطعت أن أوسوس للأب ليتعاطي المخدرات حتى ينسى ما
هو فيه، ولكنه كان عائدًا في إحدى الأيام مخدرًا تمامًا لا يقوى على
فتح عينيه، فضربته سيارة بسرعة وهربت خوفًا من المساءلة القانونية.
لم يكن أمام الأم إلا جعل أبنائها يعملون، فدفعت عزيز وكرم
الأول بالعاشرة من عمره والثاني في التاسعة.

كبرا على الذل والجوع وملابسهم الرثة المهلهلة حتى أصبح

عزيز في الخامسة عشر، وتعرف على بعض الشباب بعمره، وجدهم يلعبون بالنقود كما يسمونها، فحاول مجاراتهم حتى يوافقوا على عمله معهم، هؤلاء الصبية كنت أنا وباقي إخوتي من أبناء إبليس نعبث بعقولهم كيفما نشاء.

في البداية علمتهم كيف يستقربون من يعمل معهم، أذاقوا عزيزًا طعم النعم فأصبح أسيرها لا ينفك لا يفكر إلا في النقود والنعيم الذي يعيش فيه هؤلاء الصبية، ثم المرحلة التالية قد حان دورها وهي أن يسلبوا منه النعيم، كاد يجن فقد يدفع أي شيء ليترك أكل الفول، ويعود إلى طعم اللحوم المشوية التي أذاقوه إياها.

إذن كان عليهم في المرحلة الأخيرة أن يكشفوا عملهم هل ختمتم؟ إنهم يعملون في تجارة الأعضاء؛ يقومون باستدراج الضحية وتسليمها إلى بعض الأطباء ممن خانوا ضمائرهم ودينهم.

اشتروا سيارة خاصة بالأجرة، وعلموه السواقفة، وعرفوه كيف يختار الضحايا: «ابتعد يا عزيز عن العجائز والمرضى، فالطبيب يغضب بشدة عندما نأتي بهم»، كان عزيز يستمع لكل حرف يملونه عليه؛ إنهم تربية يدي وقد أحسنت تعليمهم بجدارة.

وبدأت النقود تجري في يده، وأصبح يصدق الأموال على أمه وإخوته حتى جاء اليوم الموعد، بحثوا عن فصيلة دم نادرة وبدأوا في القتل والخطف بشراسة للحصول على هذه الفصيلة، فصاحبها ثري عربي سيدفع لهم مبلغًا لم يكونوا ليحلموا به أبدًا.

لقد ذهب كرم لأخيه ليخبره بمرض أمه، وأنه سيذهب للتبرع لها بالدم، فنظر له واحد من الواقفين مع عزيز وسأله في خبث: «وما

هي فصيلة دمك يا كرم؟» فارتعد عزيز وحاول التخلص من أخيه وأخذ يتوهم في الحديث، لكن هيهات لقد كان هو المنشود وبسرعة هجموا على كرم لتكثيفه فحاول عزيز أن يقاتلهم لكنه لم يقدر، وقاموا بتكثيفه وأعطوا كرمًا مخدرًا، وهاتفوا الأطباء الذين حضروا بسرعة فائقة، وكان مكانهم ملجأ سرّيًا تحت الأرض، كان عزيز مربوطًا بإحكام ولم يكثرثوا لمشاعرهم، وأصبح الأطباء يمزقون أحشاء كرم أمام عينيه لاستخراج ما يحتاجون لهذا الثري، ثم قاموا بتخييط بطنه ودفنه بالجبل مع باقي المفقودين.

جاء الفتية بمبلغ كبير لعزيز، وأخبروه أنهم لن يقتلوه؛ لأنه صديقهم، فابتسم لهم وأخذ المال وأعطى جزءًا لأمه ثم قبل رأسها وأخبرها أنه مسافر هو وكرم.

اشترى بالباقي قنابل كثيرة، وأحضر لهم طعامًا - ضحية - جعلته كعادته لا يكثرث لروحها المظلومة، وما أن حضر الأطباء فجر نفسه بالمكان كله وماتوا جميعًا، لقد أعطاني كبيرنا الخبيث مكافأة كبيرة، بل واحتفل بي لقد حصدت أرواح كثيرة في هذا اليوم، انتبهت الشرطة للحدث وتمكنوا من إيجاد أماكن الجثث الأخرى، كان من الممكن تلاشي كل هذا لو أن الأغنياء أخرجوا زكاة أموالهم؛ لكنني أقنعتهم أن قصورهم أولى، بل لقد باعوهم قطع غيار لإصلاح أجسادهم التالفة، لكم كانت سعادتني وأنا أرى أقرباء الضحايا سيكون دمًا من الألم، نعم كل ما حدث بسبب وسوستي، أنا من غرر بهم، أنا المنتصر يا أبناء آدم.

اليوم الرابع والعشرون

حاولت جاهدة أن أعرف كيف جعلتني أسمع صوت أمي؟ وهل أمي تعرف بمكاني؟ رجوتها أن تخبرها إن كانت هي لا تستطيع إخراجي ربما تستطيع أمي، سكتت قليلاً وشعرت بوخز بيدي؛ أصبحت اعتاد عليه عندما أشعر به فهذا يعني أنها تمسك بيدي: «عزيزتي هوني على نفسك لن يستطيع أحد إخراجك».

«كيف؟ لقد أخبرتني أن هناك أمل، وأن أتشبث به».

«نعم، تشبثي به جيداً، فكلما فتح الجدار كلما كانت فرصك في الخروج أعلى».

كلماتها مبهمة، لم أعد أفهم تلك الألغاز التي صارت تجاوبني بها كلما سألتها أي سؤال، حسناً عليّ أن أصبر قليلاً وأن أفعل ما تخبرني به.

القصة

اعتاد شرب الخمر مع صديقه، كانا يعودان سوياً محملان برائحة الخمر العفنة والتي كانت تكرهها الزوجة بشدة، الحقيقة من أكثر الأمور التي كانت تغيظه أن صديقه لم يكن وسيماً ولا حتى غنياً، كان عادياً لكنه ميسور الحال ثم إن فتاة بجمالها كانت تستحقه هو، نعم سيئني لها قصرًا إن أرادت .

إلى أن جاءت تلك الليلة المظلمة حينما عادا سوياً كعادتهما إلى منزل سامي، وكنت أنا بالطبع أحوم حول فتانا ألم أخبرك باسمه؟

«كلا».

حسنًا إنه «وجدني» هكذا كان يُدعى ارتدى صديقه مغشيًا عليه من أثر الخمر، فحاولت زوجته أن تنقله إلى غرفة النوم، فساعدها وأدخلاه سويا، خرجت وأغلقت على زوجها الباب لتشكر صديقه علي المساعدة، فقد حان موعد ذهابه إلى منزله، لكنه لم يتحرك بل ظل واقفاً ينظر إليها بشغف، تعجبت منه وذهبت لتفتح الباب، لكنه سرعان ما التف حولها وأغلق الباب بسرعة وهجم عليها، حاولت الصراخ والجري لكنه أحكم قبضته جيدًا، وجرها إلى الغرفة الأخرى، وأغلق الباب ثم قام باغتصابها، ثم تركها وهرب مسرعًا خارج المنزل.

كنت قد جعلت نيران الحب تتأجج بداخله إلى أقصى درجاتها، لم أتركه إلا وقد أتاها وتركها في مصابها لا تدري كيف ستخبر زوجها، وكيف ستكمل حياتها بعدما حدث معها .

في اليوم التالي عاد إلى منزل صديقه، وكان شيئًا لم يكن وأخذنا يتسامران، وهو ينظر إليها عيناه لا ترفع من عليها، لكنها كانت تبكي طيلة اليوم، ولم تستطع أن تخبر زوجها بشيء إلى أن مرضت بشدة، فبدأ سامي لا يتركها وأصبح يعتذر لوجدني كثيرًا حتى أنه كان يصبر بعد اعتذار صديقه له على البقاء، بل كان يذهب معهم إلى الأطباء، حالة الزوجة تزداد سوءًا كل يوم.

كنت أريده أن يغتصبها ويدمر حياتها فقط لا أن يقع في غرامها، لكنه أحبها بشدة حتى كاد ينهار أمام سامي حزنًا عليها لكنه حاول أن يتماسك .

إلى أن جاء اليوم الذي وقف فيه سامي بحزن وأخبر صديقه أن زوجته تنزعج من حضوره للمنزل، وأنها خيرته بين زواجهما وبين دخوله لمنزلهم فقرر الابتعاد .

مرت خمسة أعوام وهو يتلصص على منزل صديقه، ويشاهدها أثناء خروجها للعمل أو شراء الأشياء، بدأت تعود ضحكتها كما كانت، ولكن مر عامان حتى عادت إليها، وبدأت تعود إلى طبيعتها، ثم أنجبت تلك الفتاة الجميلة «وعد»، كانت تشبه أمها بشدة، لم يشعر أحد به وهو يتلصص عليها حتى بعد زواجه من الفتاة التي أجبره والده على الزواج منها حفاظًا علي الإرث العائلي وزيادة به، لم يحبها بل ظل حب الأخرى يأكله كل يوم إلى أن جعلته يشرب حد الشماله حتى لا يرى أمامه، ثم انتظر خروجها من المنزل، وكان يعلم أن صديقه بالبيت والطفلة معه، وهي خارجة بمفردها فاختطفها وهروا بعيدًا بها بعد أن رش في وجهها ذلك المسحوق المنوم، أتتذكرين اسمه؟

«لا، فلتكمل».

«كنت أريد أن أعرف اسمه».

«حسنًا وما المهم في معرفة اسم المخدر الأحقق هذا؟ ثم إنني كاتبة ولست طبيبة، فلتكمل؛ أريد أن أعرف ما الذي حدث لتلك المسكينة».

«يبدو أن حكاياتي بدأت تستهويك».

«لا يهم، أكمل».

حسنًا حسنًا، بعدما قام باختطافها قام بحبسها في منزل يملكه على الشاطئ بعيدًا عن العمران، حاولت الصراخ والهروب منه خوفًا

من تكرار محاولته لها لكنها لم تستطع، حقًا هذه المرة لم يلمسها بل ركع تحت أقدامها وأخذ يبكي كطفل صغير، ويخبرها بحبه وولعه بها لكنها كانت تكرهه، لقد كان أكثر شيء مقتًا في حياتها، أخرج من جيبه مسدسًا وأعطاه لها، وطلب منها أن تقتله إن أرادت لأنه لا يهتم فهو متيم بها، لكنها أمسكت بالمسدس وهي تبكي، حاولت الضغط على الزناد لكنها لم تعرف، فاقترب منها ليعلمها كيفية استعماله وهي منهارة تمامًا كل هذا حتى يثبت لها أنه يحبها، وحتى تسامحه، لكنها في انفعال ضغطت على الزناد فخرجت رصاصة وارتدت في أنبوب غاز مقابل لهم فانفجر المكان، ولحسن حظ وجدي أُلقت به قوة الانفجار بعيدًا واحترق بعض من جسده، أما هي فقد احترقت تمامًا، كان هو ملقى على القرب من الشاطئ مغشيًا عليه حين قدمت الشرطة، وقاموا بنقل جثتها ونقله هو إلى المشفى، الأمر الذي جعل صديقه سامي كاد عقله يطيرًا كيف لزوجته أن تكون معه في بيته الذي اعتاد أن يجلب به النساء لفعل الفاحشة؟ ما الذي يحدث؟ اتهمها بالزنا، وجعلتُ الآخر يصمت عن قول الحقيقة لتنال هي اللوم كله، فقد كان يخشى إن علم صديقه أنه قام باغتصابها ماذا ستكون ردة فعله، علم أنه خسره، لكن كونه خائنًا أفضل له من أن يكون مجرمًا، ظل على صمته سنوات والتهمت السنين والحسرة والندم ما تبقى من جسد وجدي، حتى أصابته وهو في الخامسة والثلاثون من عمره بمرض السرطان لقد تفشى في جسده كله، وأصبح لن ينفع معه العلاج، فقام بفتح الانترنت وبث فيديو مباشرًا ليراه العالم كله وأخبر الجميع بما حدث، كان سامي يسمع ما يحدث وهو لا يصدق، كيف أنه ظلم المسكينة، بل لقد تبرأ من طفلتهم ولم يتزوج أبدًا اعتقادًا منه أن كل النساء خائنات،

ترك طفلته وهي الآن في العاشرة من عمرها، لم تره ولم تعلم ماذا حدث، أعلم أنني دمرت حياة تلك الشابة، لكنها نقية لم تدنس، حتى هذا الأحق وجدي لقد تاب قبل موته، واعترف بجرمه وبرأ ساحتها أمام العالم اجمع .

«ماذا عن سامي والطفلة؟».

« حسنًا، تركت سامي يعود ليربيها ولم أهتم بما حدث، تدرين أمراً؟».

«ماذا؟».

«إن الطفلة ابنة وجدي، كانت الأم تعلم ذلك ولم تخبر زوجها، ولا حتى وجدي الأحق يعلم أن تلك الفتاة الجميلة ابنته .
«ألم تجعل سامي ينبش في هذا الأمر بعدما علم بالحقيقة وأنها منذ سنوات...؟».

« لا، سامي يهتم الآن بتكفير ذنبه، ويحاول جاهداً أن يربي الفتاة الصغيرة، ربما أعود لهم في يوم ما...».

« ليتك تتركهم، كفى ما حدث لهم .»

سمعت صوت ضحكة، ضحكة من الشيطان، فلنكمل حديثنا، فقد انتهت قصة سامي ووجدي.

اليوم الخامس والعشرون

أخبرتني رقية اليوم أن أستمري في حفر الجدار حتى أثناء حديثنا، أصبح الثقب يتسع، أصبح الآن ربما في حجم البرتقالة، لكن الغريب أنني لا أستطيع أن أرى وجهها؛ حتى والثقب يتسع، كيف تبدو تلك الملاك؟ يستمر صوتها في التحدث معي وتشجيعي تارة، وحكايات عن حياتها تارة أخرى.

القصة

تلك الفتاة الحمقاء «زهراء» أضاعت كل شيء بعثها اللامتناهي، كان عليها أن تصمت وأن تعيش كما كتبت لها، لكنها أصرت على معرفة الحقيقة والتي ساقتها في النهاية إلى ما لا تتوقعه.

لقد تربت زهراء في إحدى الملاجئ الحكومية تحت ظروف قهرية لا تُحكى، ناهيك عن اضطهاد المجتمع لها وبذها، في الحقيقة لم تقبل كونها لقيطة، نعم لفظ في نظر البعض عادي ولكن لم يكن عاديًا لها أبدًا، قررت أن تهرب من الملجأ فلا يخرج الفتيات منه إلا بعد الزواج، ونادرًا ما يتزوجن إلا لو زوجهن من بعض الشباب في دار الأيتام للأولاد، وبالطبع كانت أغلب الفتيات توافق وبشدة، لأنها تعلم جيدًا أنه لا سبيل لها إلا الزواج من هذا الشاب فيعيشون حياة عادية بعد تليق قصص من تأليفهم عن أهلهم بالصعيد، ومنهم من يستأجر أهل حتى يصمت البعض عن السؤال.

لكن زهراء رفضت تلك الحياة وهربت في جوف الليل إلى

حيث المجهول، استطاعت ادخار مبلغ لا بأس به من المال مقابل عملها ليلاً في بعض المحال التجارية، استأجرت شقة بعيدة في مدينة أخرى، وكان عليها أن تبحث عن نفسها، أين هي؟ لديها صورة لها وهي صغيرة احتفظت بها جيداً، وبعض المعلومات، وتلك الندبة الصغيرة على وجهها والتي كانت بفعل فاعل لن تذكره أبداً لصغر سنها ساعتها.

لم يكن أحد أبداً يشعر بما في داخلها حين هربت، فتلك الأحلام والأحاسيس الغريبة لا تنفك لا تتركها أبداً، استأجرت سيارة وبدأت تجوب بها المدينة، فهي على يقين أن تلك الأحلام حقيقة، وعليها الآن بعد أن وانتهت الفرصة أن تتيقن من صحتها، بدأت تسير في اتجاهات تتذكرها من تلك الأحلام حتى وصلت إلى تلك الفيلا الكبيرة، ابتلعت ريقها لقد كانت هي، نعم هي من تراها كل يوم، دلفت بالدخول مسرعة وهي تتلهف لمعرفة تلك الأسرار المخبأة عنها.

نظر لها البواب وكأنه يراها كل يوم: «مرحباً سيدتي كنا نبحت عنك لأشهر طوال، مرحباً بعودتك، والدك بالداخل».

تقدمت للدخل وهي خائفة ولا تدري ما الذي ينتظرها، فوجدت رجلاً كسيحاً على كرسي متحرك تقدم ناحيتها: «سهر، حبيبتي أين كنت كل هذا الوقت؟».

بكى وجر كرسيه ناحيتها ورفع يديه ليحتضنها وهو يبكي بحرقة شديدة، ويصرخ وينادي على كل من بالمنزل: «سهر عادت يا لمياء، يا أحمد، تعالوا بسرعة، الحمد لله الحمد لله».

هرول الجميع من الطابق العلوي نزولاً على الدرج وهموا ناحيتها يحتضنوها ويكون، ربما دموع التماسيح.

لم تتحدث زهراء وظلت صامتة خائفة أن تحكي، وخاصة بعد أن وجدت صورًا لها بكل ركن بالمنزل، متى التقطت هذه الصور، كيف يحدث هذا؟ اقتربت منها لمياء سيدة في عقدها الرابع ووضعت يدها على الندبة بوجهها وحملت بعينيها، وكأنها رأت شيئًا ثم ابتعدت عنها وهي تفرك في يدها.

علمت زهراء أن هناك خطب ما، لكنها تعلم جيدًا أنها بالنهاية لا حياة لها، فلم تكثرث وانتظرت حتى ترى ما ستؤول إليه الأمور.

ذهبت إلى الحجرة التي أخبروها أنها حجرتها، وما أن هدا المنزل وذهب الرجل القعيد إلى غرفته أخيرًا، وهو سعيد، ونام قرير العين، فتحت لمياء باب الغرفة وشدت زهراء من ذراعها: «من أنت؟ أخبريني الآن، أنت لست سهر».

أبعدت يدها فاقتربت منها مرة أخرى تحملي بتلك الندبة على وجهها: «كيف هربت من الملعج؟ كيف عرفت مكاننا؟ أخبريني الآن وإلا جعلتك تلحقين بأختك الحمقاء».

عقدت زهراء على حاجبيها: «إذن أنت اللغز!».

قذفت بها لمياء إلى الجدار المقابل وهي تزمجر بأسنانها: «استمعي إليّ جيدًا أيتها الحمقاء؛ إن لم تعودي من حيث أتيت فأعدك أن تلحقي بأختك».

صوت طرق على باب الحجرة؛ إنه والدها، هرولت لمياء لتفتح الباب: «مرحبًا أخي لماذا تعبت نفسك وأنت مريض؟ تعال معي لترتاح قليلًا».

«اتركيني يا لمياء، أريد الجلوس قليلًا بجوار ابنتي».

نظرت للفتاة أمامها في غيظ وهي واقفة وراءه، ثم اتجهت بناظرها إليه وابتسمت وغادرت.

اقترب من الباب وأغلقه جيدًا وراءه ثم عاد إلى ابنته وأمسك بيدها والدموع تملأ عينيه: «حبيبتى سمر يا إلهي! لا أصدق بعد كل تلك السنوات! أين كنت؟».

«أنا سهر ولست سمر».

«تعتقدين أنني أحرق ثم تلك الندبة على وجهك لن أنساها أبدًا لقد وقعت من فوق شجرة الفيلا في ذلك اليوم الذي أصبت فيه بها، لقد كنت في الثالثة من العمر، لن أنسى كم كنت ذكية وشقية جدًا على عكس أختك سهر».

«إذن تعلم أنني لست هي إذن، إن كنت ابنتك لِمَ تخليت عني؟!».

«أقسم أنني بحثت عنك لسنوات طوال دون جدوى، والآن تختفي أختك، يعتصر قلبي الألم».

«هل أنا حقًا ابنتك كما تدعي؟ أنا لا أصدق نفسي! هل لي أهل؟ أنا لست لقيطة».

انهمرت في البكاء ومشاعر مختلطة تجتاحها فاحتضنها بشدة قائلاً: «عليك أن تستمعي لما سأطلبه منك جيدًا».

أصبح شغل لمياء الشاغل الآن هو التخلص من تلك الفتاة، حتى جاء اليوم الذي استيقظت زهراء لتجد نفسها بين أعشاب وحشائش بالية في مكان مقفر لا تعرف حتى كيف وصلت إليه، ووجدت حولها أناس لا تعلم كينونتهم يضحكون فالتفت أحدهم إليها: «لقد أفاقت!».

انقضوا عليها بسرعة وحاولوا تكتيفها وهي تحاول الصراخ ولا تستطيع؛ فقد كتموا أنفاسها وما هي إلا لحظات وكان بضع رجال آخرون يهجمون على من يمسكون بها فألقوا بها بعيداً لتقوم معركة حامية بين كلا الطرفين، وتجد بين كل هؤلاء لمياء ووالدها يحتمون بعيداً عن الطلقات النارية التي أصبحت طائشة بلا هدف.

أغمضت زهراء عينها وأغلقت أذنها حتى لا تستمع لكل ما يدور حولها، وهي تشعر برعب شديد، ثم هدأ كل شيء، وجدت شاباً عشرينياً يقترب منها مفتول العضلات قوي البنية يمد يده لها: «هيا بنا يا سهر لقد عرفت مكانك أخيراً يا حبيبتى، حمداً لله».

خافت لوهلة ثم ألقَتْ نظرة حولها، فوجدت والدها واقفاً على قدميه ويجواره لمياء مغلغلين بالأصفاد ويحوط بهم رجال الشرطة من كل جانب.

نفض عنها التراب وأمسك بها واحتضنها فنهرته وابتعدت؛ حتى الآن لا تفهم ما الذي يحدث.

تركها واقترب من والدها ولمياء وأجبرهم على النطق بالحقيقة، فقالت لها لمياء بنبرة ندم وخوف: «لقد قمنا بخطف سهر للاستيلاء على ميراثها أنا - عمته لمياء - وهذا الرجل الذي مثل دور القعيد هو زوجي وليس والدها، ثم إن قلبي لم يطاوعني على قتلها جل ما أردته هو الاستيلاء على ميراثها وليس قتلها، ولكنها لم تعطنا الفرصة فقمنا بالتخلص منها، لم نكن نعلم أن سمر أختها ستعود وتخرّب علينا كل شيء».

جن جنون الضابط حين سمع بمقتل سهر فقد كانت حبيته، وقد مضى وقتاً طويلاً يبحث عن حبيته، انتهى الوضع بأن حبست لمياء

وزوجها، وعاشت سمر بعيدًا عن تلك الفيلا، فقد كرهتها وأصبحت هي وذلك الشاب الضابط أصدقاء وربما فيما بعد ربطت بينهم قصة حب.

انتهت القصة فابتسمت الكاتبة وهي تكتب: «حسنًا، قصة جديدة من الخديعة والاستيلاء على الميراث».

ضحكة عالية من الشيطان: «ما لا تعلمينه يا عزيزتي أن كل ما حدث كان كذبًا، إن زهراء ابنة لمياء، وذلك الرجل ما سرده كان كذبًا؛ لأن الضابط كان يراقب كل ما يحدث عن كثب، وقاموا بخديعته جميعًا؛ زهراء ستستطيع بنفوذ زوجها الآن إخراج والدتها ووالدها من السجن، بل والاستيلاء على ميراث سهر، أما عن الشبه فقد كانت عملية تجميل بسيطة حلت كل شيء، جلبت لك القصة من مذكرات الضابط نفسه، فهو يرى زهراء قد جلبت لنفسها المتاعب يبحثها عن الحقيقة، ولولا إنقاذه لها لكانت في خبر كان، أرى علامات الذهول تبدو على وجهك أيتها الكاتبة لقد أخبرتك أن تلك القصص البشرية لن تأتي على هواك، وربما أنت وغيرك تقتنعون ببراءتي من جرمكم».

اليوم السادس والعشرون

بدأت أحكي لرقية بعض القصص التي حكاها لي الشيطان، كانت تبسم وتصمت ربما هي الأخرى لا تصدق أفعالنا نحن البشر المشينة ولكنها الحقيقة.

القصة

تعلمين مهنة حارس المشرحة مهنة شاقة جدًّا؛ ربما على البشر أن يحترسوا في اختياره، أعني عليهم أن يختاروه بعناية.

«بركات» شاب عشريني عين في تلك المهنة الشاقة المخيفة للبعض، في البداية كان خجولًا جدًّا، ربما كان يهاب الموت، أيامه الأولى كان يجلس وهو مرتعد يتلفت يمينًا ويسارًا خوفًا من عودة الميت، إلى أن بدأ الخوف يتركه شيئًا فشيئًا فأصبح لا يهتم مهما سمع أو رأى.

حتى ذلك اليوم الغريب الذي جاء فيه جثة مجهولة لفتاة شابة، لا يوجد بها خدش واحد إلا كسر لم يلاحظه إلا الطبيب الشرعي بالتأكيد، ألقى العمال جثتها بداخل المشرحة، وفي أثناء دخولهم بسرعة حتى ينجزوا مهمتهم التي كانت عبئًا ثقيلًا عليهم؛ أوقعوا الملاءة التي كانت تستر الفتاة، فهرول أحدهم وقام بتغطيتها مرة أخرى وانصرفوا جميعًا. رأى بركات جسدها والذي كان مثيرًا جدًّا؛ فتاة شابة بيضاء جميلة تسر الناظرين، بالطبع هنا حان دوري لأثير بداخله كل الغرائز الكامنة حتى يتمكن منها، تنظرين لي بقرف! أستطيع أن أراك أيتها الكاتبة!

نظرة الكاتبة كانت غريبة: «مقرف حقاً، كيف لأحد أن يتلذذ بشهوة لجسد ميت؟! ما هذا العبث بالفطرة التي خلقنا بها الله؟».

«حسنًا، ربما أتمكن ممن غاب لديه الدين، ولكن من غاب لديه الضمير والأخلاق أيضًا صيد سهل بالنسبة لي، ألا تريدان أن تسمعي بقية القصة، أراك تتجاوبين معي أخيرًا لقد كنت تتجاهليني! أتذكرين؟».

«حقًا أشعر بالغثيان، ولكني ما زالت ممسكة بالقلم، أكمل لنتهي سريعًا من هذه القصة التي تثير الاشمئزاز».

تلك الليلة أخذت ألعب بعقل الشاب بكل الطرق حتى أصبح لا يرى أمامه، نعم، هو فقير معدم يشتهي النساء، ولا يستطيع الزواج؛ لفقره، ثم إن سجلها الطبي يذكر أنها مجهولة الهوية لن يهتم لها أحد، إنها فرصته الذهبية.

تردد في البداية إلى أن خطى أول خطوة وأنا أجره إلى الأخرى، وهو يقترب منها ببطء، هيا أيها الشاب أطفئ ظمأ تلك الشهوة التي تأكلك ولا تجد لها حلًا، هيا الآن الحل بين يديك.

وأخيرًا وقفت خلفه وأنا أنظر في سعادة وهو ينهال عليها بكل ما أوتي من قوة؛ مشهد ارتكاب البشر للكبائر التي حرمها الله من أجمل المشاهد بالنسبة لي، ثم إنني لست الفاعل في النهاية.

في هذا اليوم عاد الشاب لمنزل أمه وهو لا يرد على أحد، حتى نداءها المستمر له تجاهله، ربما بعدما أفاق كان جزء من ضميره يوبخه؛ إلا أنه حظي بليلة لن ينساها أبدًا، وفتاة في جمالها ما كان ليحصل عليها أبدًا لو كانت على قيد الحياة، فيبدو أنها من أسرة مرموقة على أية حال.

حاولت أن أفنعه أن ينسى ما كان، ففي النهاية لماذا يتعب نفسه بالتفكير فلا أحد رآه.

تركت القلم من يدها وردت على حديثي: «ولكن الله يراه». «حسنًا يا عزيزتي، هل يعرف الله؟ أنا لم أر في قلبه خوف منه ولو ذرة واحدة».

فلنكمل حديثنا، مرت أيام عدة حتى جاءت أخرى أجمل منها، بالطبع فعل ما فعله مع الأولى، حتى أصبح ينتظر بلهفة قدوم الحسنات؛ إنها لقط بالنسبة له.

مرت بضعة أعوام وهو على وضعه لا يتغير إلى إن جاء ذلك الزلزال الفظيع، لا أذكر العام، حسنًا حسنًا، تذكرت الآن إنه زلزال ٩٢ هل تذكرينه؟ أعتقد أنك لن تذكريه، فقد كنت صغيرة ساعتها، الحقيقة كان هذا اليوم مميز جدًا، فقد جاءت جثة تلك الفتاة الأجمل على الإطلاق، وقد انتظر أن يخلو المكان؛ لينفرد بها كغيرها، وما أن بدأ يشرع في الأمر حتى اهتزت الأرض بقوة ساعتها ثم سقط سطح المشرحة فوق رأسه ليدهك دكًا.

بعد أن هدأ الزلزال وكان هناك من يبحث عن ناجين وسط كل تلك الفوضى التي أحدثها، وبعد رفع الأنقاض عنه وُجد عاريًا في وضع لا يُحسد عليه فوق تلك الجثة، بالطبع صعق من وجده؛ لدرجة أن أحدهم كان يعرفه أخذ يتقيأ حتى كاد أن يتقيأ أحشاءه كلها من هول المشهد.

أمسكوا بجثته وألقوا بها بعيدًا عن جثة الفتاة، وغطوها ببعض أوراق الجرائد وانصرفوا عنها؛ بالطبع رفضوا حملها، عرف الكل

ما حدث منه حتى أمه؛ أصيبت بجلطة عندما علمت، أما عن الناس فقد رفضوا دفنه في مقابر المسلمين، فحمله بعض الرجال إلى مكان منعزل بالصحراء لا يوجد به إلا بعض الكلاب الضالة وبعض القمامة التي كان يلقيها عمال النظافة ثم انصرفوا عنه، فكان أنيسه الوحيد هو عواء تلك الكلاب الضالة، والتي اشتمت رائحة مكانه لتنبش قبره بعد رحيلهم وتأكل ما تبقى منه.

* * *

اليوم السابع والعشرون

كان الثقب بالجدار يكبر وأمالي وأحلامي تكبر معه، سعادتي كانت لا توصف رغم أنني لا زلت لا أستطيع أن أراها، إلا أنها كانت تشجعني باستمرار.

تعلمين أن الجيش يجند الشباب لخدمة الوطن، ولكن هل يعلم أن من يتم اختيارهم عليهم ألا يجتازوا القدرات البدنية فقط، ولكن هناك قدرات أخلاقية تختفي عند البعض لم يهتم لها الجيش، «ياسر» فتى تربى في أسرة إجرامية قتل وسرقة وغيرها، أرى أن هؤلاء القوم لا يرون في أنفسهم الإجرام أبداً؛ إنهم يرونه قوت يومهم فقط.

الأغرب من هذا هل جاء في مخيلتك أن يُطلب ابنهم في التجنيد، بالطبع إنها أوراق عادية تقدم من كل شاب يُطلب، ثم ذلك الكشف الجسدي ليتأكد هل هو معاف أم به علة، لكن ياسر نجح في كل الاختبارات؛ إنه شاب قوي البنية مفتول العضلات، كيف له أن يكون به أي شائبة؟! عائلته كانت منعزلة استطاعت أن تخفي على الجميع ما يفعلونه في السر من أعمال مشينة، وما يعرفه الناس عنهم أنهم يعملون في التجارة.

كان ابنهم ياسر ورقتهم الرابحة، فمنذ نعومة أظافره تربى على شرب الصنعة كما يسمونها، وأصبح ذراع والده الأيمن إلى أن تفشى المرض في جسد والده، فأصبح هو العائل الوحيد لهم وإخوته صغار، كان تجنيده بمثابة مصيبة كبرى فمن ذا الذي سيأتيهم بقوت

يومهم، ولكن الشاب كان ذكيًا ممن يُقال عليهم يحول التراب إلى الذهب.

اختير مكان تجنيده بسيناء على حدود مصر مع العدو الصهيوني والذي يتربص بنا، بالطبع هناك معبر يفصل بيننا وبينهم، تعرف فيه على ذلك الشاب الآخر «دانيال»، ومن هنا بدأ العمل الجاد مع ياسر، كانت مهمته هي أن يعرفهم بأماكن تواجد الجنود، لم يكن مع دانيال إلا بعض الأشخاص الملتئمين حتى إنه لم يعرف جنسيته، من يكون؟ بشرته توحي أنه أجنبي ولكن يتحدث اللهجة المصرية بطلاقة؛ أصبح الجنود المصريون يُقتلون يومًا بعد الآخر، ولم يعلم أحد من الذي كان يشي بهم، كل يوم يُقتل شاب من أبناء الوطن كان لديه آمال وطموحات، لديه حبيبة بانتظاره كان يحلم معها بيت وبعض الأطفال؛ لديه أم فطر قلبها حزنًا عليه، إلى أن جاء هذا اليوم الذي كان يقف فيه ياسر مع دانيال، ومعهم بعض الشباب الملتئمين يحملون أسلحة ثقيلة خلف ظهورهم؛ ليشي لهم كعادته، والمقابل حفنة من الدولارات التي كان يعطي نصفها لأهله ويحتفظ لنفسه بالباقي.

لم يكن يعلم أن هناك فتى يراقبه يدعى «عبد الرحيم»، شاب من إحدى القرى ما إن علم ذلك الشاب ما يحدث إلا وقرر التحرك، فليس هناك وقت لإخبار الضابط المسئول؛ عليه أن يتصرف بسرعة، لوهلة تذكر أمه، ستحزن نعم، ستموت ألمًا على فراقه، وحبيته ستصبح أرملة قبل حتى أن يدخل بها، كل هذه المشاعر اجتاحتها ثم أغمض عينيه وشهد بينه وبين نفسه، ثم فتح زناد البندقية الرشاشة وانهاled عليهم جميعًا، بالطبع في تلك اللحظة التي حاولوا فيها رد النار عليه كان

قد أصابهم جميعًا، سمع الضابط والجنود أصوات الطلقات النارية، فجاءوا بسرعة وفتحوا نيرانهم تجاه الكل حتى عبد الرحيم قُتل مع الباقين، لم يعلم أحد ما الذي حدث في هذا المكان، جسد ذلك الشاب القروي عبد الرحيم أصبح كالمصفاة من الرصاص، لكنه مات مبتسمًا مات شهيدًا.

الحقيقة لم يعرفها أحد، فاتهم عبد الرحيم بالخيانة رغم أنه المنقذ، وجاءت الحادثة في كل نشرات الأخبار، وكُرم الضابط، وعاد جسد عبد الرحيم إلى قريته يحمل العار له؛ ذلك الجسد الذي اتهم صاحبه بالخيانة ولم يعلم أحد الحقيقة حتى الآن.

«اسمع أيها الشيطان، ماذا ستستفيد من تشويه سمعة هذا الشاب؟ ثم الموضوع جاء كله صدفة، وأنا أرى أنه يكفيه أن الله يعلم الحقيقة». «تعلمين، ما فعله ياسر هو القتل؛ أزهق أرواح العديد من الجنود المصريين، الخيانة يا عزيزتي هي كأسى المفضل».

* * *

اليوم الثامن والعشرون

ضحكات متعالية مني، وجدتها تتعجب وتسالني عن السبب، ازدادت ضحكاتي: «تعلمين، لم أكمل لك باقي قصة من تلك القصص التي حكيتها لك».

«معني القلم، تستطيع أن تكمل، فلننجز هذا العمل فقد سئمت».
 «أراك دائماً عابثة، وتحدثين بغیظ معني، ألم نصبح أصدقاء؟..
 و..».

«اسمع يا هذا، كفاك وهماً، ولننجز عملك هذا، فقد طفح الكيل».

تعال ضحكاتي: «أعلم جيداً أن حكاياتي تسهتيك، وإلا ما أمسكت قلمك وكتبت ما أمله عليك أبداً، حسناً سأكف عن مجاراتك في الحديث، فلنكمل قصتنا ثم ستعلمين وحدك تلك القصة تكلمة لأني واحدة منهن».

القصة عن فتاة تدعى «جودي»؛ عاشت تحمل مرضاً بقرنية العين جعلها لا ترى؛ أصبحت كفيفة، طفولة مليئة بالحرمان من اللعب والحياة الطبيعية كأني أحد، رغم أن والدها كان طبيباً مشهوراً، إحساسه بأنه سترك ابنته بدون عينين في هذا العالم الموحش كان يقتله، إلى أن كبرت الطفلة وصارت شابة يافعة، في أحد الأيام أصرت على الذهاب مع صديقات لها بالجامعة في رحلة لقضاء أيام تخييم في البرية، بالطبع لم يكن هناك براري في مصر إلا أنهم كان عليهم السفر إلى دولة أخرى،

حسنًا أصرت الفتاة، وفي النهاية رضخ الأب وبعث معها مربيتها للعناية بها، حقيقة قضت أيام ممتعة وكانت تتصل به دائمًا، وتحكي له عن تلك الليالي الجميلة، إلا أنها كانت حزينة لأنها لا ترى المخلوقات العجيبة، منها من كانت تتحسس بيدها، ومنها من كان سامًا أو قاتلاً فعليها أن تستمع لوصف شكله، فكانت وقع كلماتها مؤلمة عليه، فلم يتحمل حرمانها هذا، وخاصةً بعدما كادت تموت عندما غفلت عنها مربيته ونامت، ثم قامت جودي تتحسس طريقها لتحاول اكتشاف الأشياء بمفردها، فكادت أن تقع من جرف جبل عال وأنقذتها الفتيات بأعجوبة؛ الأمر الذي جعل والدها مهووسًا بأنها سيقع لها مكروه عندما يموت، أو يغفل عنها أي شخص.

سرعان ما وجد لها متبرع مطابق لدمها حتى لا يرفضه الجسم، بدا الأمر سهلاً ولم يَرْتَبْ أحد في شيء، سيتم نقل قرنيته لها فقد مات المسكين في حادث على الطريق السريع، كادت تطير من الفرحه وعادت مسرعة دخلت بسرعة إلى المشفى، وتمت العملية بنجاح فائق؛ إحساس لا يوصف أنها ترى الأشياء لأول مرة في حياتها؛ ما شكل الأشجار، وماذا يعني اللون الأحمر أو الأصفر مثلاً، لماذا البشر أشكالهم مختلفة، ظلت عامًا كاملاً تخضع للعلاج والتعلم عليها أن تتعلم شكل كل شيء كانت تعرفه من ملمسه أو من رائحته.

كان عامًا سعيدًا لا يوصف، بدأت تخرج للدنيا وحدها أخيرًا دون مرافق، كادت تجن من السعادة إلى أن بدأت تلك الأحلام الغريبة تراودها، صورة لشاب ما مبهمه لا تعرفها وأماكن غريبة جدرانها مهدمة، وناس يرتدون ملابس رثة؛ الحلم يتكرر باستمرار، لا عجب أن

تلك الأمور التي يحكونها عن مشاهدة الشخص الذي تم نقل الأعضاء البشرية له لحياة الشخص الآخر يبدو أنها حقيقة، وخاصةً بعدما أيقنت أن ما تراه ربما ينتمي إلى حياة الشخص الآخر، حاولت معرفة هويته من والدها، والذي أخبرها أنه مجهول الهوية، وتم دفنه دون أن يعلم عنه شيئاً.

بدأت تبحث في الأماكن المشابهة لما تراه في أحلامها، حتى وجدت منطقة شعبية أمرت السائق أن يتقدم بالسيارة، ويدخلها إلى تلك المنطقة، ثم ترجلت عنها وبدأت تمشي بها وكأنها تعرف المكان، حتى دخلت ذلك المنزل الغريب لقد وجدته، حقاً مصادفة غير متوقعة، طرقت على الباب ففتحت لها تلك السيدة صاحبة الملابس الرثة التي تشاهدها دائماً.

جلست جودي وهي خائفة لا تدري ما الذي يحدث: «أتعلمين ماذا اكتشفت جودي في ذلك؟!».

«أخبرني أيها الشيطان، فرما لعبة من ألعيبك الدينية!».

«هل تجيدين أنني أنا الذي أم أنتم؟».

«لسنا في صدد الإجابة على ذلك السؤال الذي تمليه عليّ مراراً وتكراراً، ولا تفك لا تتركه أبداً، فلتحك قصتك لنتهي منها».

«حسناً أيتها الغاضبة، أتذكرين الشابين عزيز وكرم؟».

«أتعني أصحاب قصة تجارة الأعضاء؟».

«نعم، جميل أنك تتذكرين أنها والدتهما، لقد علمت أنهما قتلا في تلك الليلة، ولكن الذي لم تكن تعلمه والدتهما استطاعت جودي بعدما خرجت من عندها أن تبحث عنه، ولتعلم الحقيقة، والتي كانت

أن والدها كان من ضمن هؤلاء الأطباء الذين باعوا ضميرهم، استطاع أن يحتفظ بجثة عزيز لديه إلى أن استأصل منها ما أمكنه من أن يزرعه في عين ابنته جودي ليعود لها نظرها».

«بالطبع الفتاة كانت على حافة الانهيار، لم تتخيل أبدًا أن والدها وراء هذا الجرم الشنيع، ف وقعت في مشاحنات كبيرة مع والدها إلى أن أجبرته على إعطاء أم عزيز وكرم مالا وفيرا يكفيها لتربية ما تبقي لديها من أبناء، بل لقد جلبتهم جودي وأسكتهم معها، وساعدت السيدة في تربية أبناءها، ولكنها لم تقوَ أبدًا على إخبارها الحقيقة».

«يا إلهي! لقد خلق الله من ضلع هذا الطيب الفاسد ابنة صالحة».

«نعم أيتها الكاتبة، ألسنت أنت ممن يدعو إلى الحرية الفكرية؟! ألسنت أنت ممن يقول: إن المرء لا بد أن يحاسب على عمله وحده ولا يحاسب على عائلته؟!».

«نعم قصة جودي مثال حي على ذلك، رغم أننا وجدنا أمثلة كثيرة لذلك؛ لا بد أن يفهم البشر أن عليهم أن يتركوا معاقبة الإنسان بسبب جرم ارتكبه والده، فلكل منا حياته وأخلاقه الخاصة».

اليوم التاسع والعشرون

اقرب الجدار من الانتهاء، أقصد هدم الجزء الذي سيجعلني أستطيع أن أخرج جسدي منه، لا أعلم كيف استطعت أن أهدمه بهذه السرعة، بل الحقيقة لا أعلم كيف لهذا الشيطان ألا يراني وأنا أهدم جزءاً منه كل يوم، ربما محبسه في تلك الغرفة! الحقيقة لست أدري، ولكنني اقتربت من هدفي وبقوة، الغربية أن ما خلف الجدار كلما نظرت وجدت فراغاً ناصع البياض، أكاد لا أرى خلفه شيئاً، لكنني لا أهتم، ربما أجد حلاً بعد أن أخرج منه.

القصة

تعتقدون أن القتل أو السرقة أو أيًا من تلك الجرائم التي اعتدتم عليها هي في نظركم أعلى درجات الوسوسات لي، لكن انتظروا أن تحطم حياة أحب الناس إلى قلبك أيها البشري لهي لذة كبرى، وهذا ما سار مع «عصام».

لقد كانت أمه تعشقه أكثر من أي شخص أو أي شيء، لم أعرف كيف عليّ أن أجعلها تحطمه لكنني توصلت في النهاية، إن الحب سلاح ذو حدين أستطيع أن أكتسبه لصالح أغراضِي الخاصة، وقد جعلتها تحبه أكثر من أي شيء في حياتها حتى من نفسها؛ لذا وجب عليّ التزام الصمت والإكثار فقط من الحب، نعم الكثير من الحب سيفي بالغرض.

ردت الكاتبة في غيظ: «وكيف سيقتل الحب؟».

ضحكة كبيرة منه: «أراك صامته كل هذا الوقت رغم الجرائم التي سردتها عليك لتكتيبيها، لِمَ الآن تسألين؟». «فقط أريد الإجابة».

«إذن تمهلي قليلاً واستمعي جيداً ولا تنسي أن تكتبي كل كلمة». في البداية الحب شيء جميل للبشر ولكنها أمه وعليها أن تربيه تربية تليق بتعاليمكم البشرية لكنها كانت... أو لنقل أنا من كنت أغرس في عقلها أن تجعله ابن أمه المدلل؛ لقد جعلته كسولاً تخاف عليه من ذرات الأتربة التي تحملها جزيئات الهواء، لقد منعت نفسها من كل متع الحياة وأعطتها له كلها حتى الطعام كانت تحرم نفسها منه لأجل فتاها المدلل.

حتى صار لا يكثرث لأي شيء، يأتيه ما لذ وطاب دون أن يهتم هل أكلت أم لا؟ هل هي مريضة وتحتاج بثمان هذه المملذات الدواء؟ صار عنيماً أهوجاً لا يحب الغير لا يحب سوى نفسه فقط.

ثم فجأة انتهى كل هذا الترف لقد مرضت وماتت، وتركته وحيداً لا يعرف حتى كيف يجلب لنفسه الطعام، ناهيك عن عصبيته الزائدة عن حدها وتكبره المفرط، في بادئ الأمر حاول الأهل إيجاد عمل له، وكان يتم رفده بعد بضعة أيام لأنه لا يلتزم بالمواعيد ولا حتى جاد في عمله.

حتى تخلى عنه الجميع وأصبح وحيداً لا يملك قوت يومه، أصبح يبيع كل ما تتحصل عليه يدها من أثاث بالمنزل، ويشترى به طعاماً له حتى باع كل شيء، وانتهى به الأمر أن يبيع منزل والدته، ويسكن بحجرة صغيرة مهدمة حتى يأكل بالنقود التي حصل عليها

من بيع المنزل، مرت أعوام وهو يعيش كالشريد يحزن عليه من تذكره ببعض الفتات، إلى أن وُجد وهو في الأربعين من عمره متعفنًا بحجرته القميئة هذه، لم يشعر بموته أحد إلا بعد أن انتشرت تلك الروائح العفنة التي تخرج من جثثكم الأدمية.

”حسنًا، هل علمت كيف يدمر الحب كل شيء؟ كيف دمر الحب حياة عصام؟ بل قضى على كل شيء في حياته؟ أراك صامتة لا ترددين على سؤالي!“

”حسنًا، لقد كنت محققًا في هذا، فلنكمل عملنا، فقد سئمت من هذه الحجرة التي تحبسني فيها.“

اليوم الثلاثون والأخير

يا إلهي! الثقب أصبح كبيرًا سأجرب أن أخرج منه بسرعة قبل أن يراني، يا لسعادتي! أستطيع الخروج، آه قدمي علقت أف، حسنًا بقي أن أحفر مكان قدمي فقط، وبعدها لن يستطيع معي أمرًا.

يا لسعادتي استطعت أن أحفر مكان قدمي، سأخرج أخيرًا، يا إلهي! صوته قادم عليّ أن أكتب قصته الغيبة حتى لا يشك بأمرى ويفسد عليّ خروجي.

«حان وقت آخر قصة».

«رائع، فلنبداً».

«أرى أن مذكراتي نالت استحسانك؟».

«كنت متحمسة ليس إلا».

«دائمًا ما تتهربين! حسنًا، تعلمين غداً العيد إنها آخر ليلة لي في رمضان، سأخرج إنه يوم حريتي المنشود، فلتتمسكي بقلمك جيدًا، فما سأقصه عليك الآن... لا أعلم! دعينا لا نحكم إلا بعد استماعك، أقصد كتابتك له».

تبدأ القصة بتلك الفتاة اليافعة القوية التي اعتادت على تحمل الصعاب كما يُقال، كانت دائمًا الأولى، دائمًا ناجحة، دائمًا كلما تمت شيئًا نالت، إنها «نضال»، يبدو أن اسمها يحكي الكثير مما في جعبتها، لديها أخت كبرى «وصال»، لطالما حرمت نفسها من كل شيء حتى تنال نضال كل ما تتمنى، حتى إنها أجلت زواجها لحين الانتهاء من

مصاريق أختها الصغرى بكلية الطب، ورغم أن نضال لم تتوان للحظة واحدة عن الانصياع لأوامر أختها وتحقيق رغباتها سوياً في دخولها لكلية الطب؛ حيث كانت رغبة مشتركة بينهما إلا أنها بعد وفاة والديهما وتحمل الكبرى المسؤولية كانت تعني كل واحدة منهما الكثير للأخرى، فقد كانتا كل ما يملكان من عائلة لم يكن لديهما سوى بعضهما البعض.

اقترب موعد عرس الأخت الكبرى والتي أصبحت في الثالثة والثلاثين، الآن كانتا في قمة السعادة، وكانت الصغرى قد اصطحبتها في جولة بسيارتها الجديدة والاحتفال بعرس الأخت، وبالطبع عليهما الذهاب إلى القرية البعيدة التي يقطن بها عمهما لدعوته على العرس.

كان المكان بعيداً جداً، وما أن أنجزا مهامهما وتمت دعوة العم وعائلته، حتى أسرعوا بالذهاب رغم أن العم حاول أن يقيهما حتى طلوع النهار؛ لكنهما أصرا على الذهاب، كانتا في قمة السعادة حتى وصلتا إلى طريق غير معلوم، ربما ضلنا طريقهما أثناء العودة، لكن نضال التفت بالسيارة وحاولت إيجاد الطريق حين استوقفهما رجل عجوز سائلاً: «يا ابنتاي هل ضللتما الطريق؟».

بالطبع كانت سعادتهم غامرة لأن هناك من سيدلها على الطريق، وبالطبع تتبعا كل خطوة قال عليها الرجل العجوز إلى أن وصلتا إلى قرية غريبة، وفي وجههما جبل عال يبدو أنه نهاية الطريق، ويبدو أيضاً أن هذا العجوز قد ضللها.

حاولوا الالتفاف والرجوع ولكن سرعان ما التفت حولهما لفيق من الرجال غريبي الأطوار، وأجبروهما على النزول من السيارة.

ترجلا عنها، وبالفعل تم تقييدهما وإحضارهما إلى داخل قبو

غريب تخرج منه رائحة عفنة، أُلقي بهما على الأرض كأنهما خراف أمام رجل سمين جدًا، وما أن رآهما حتى تعالت ضحكاته وغمز بحل وثاق الكبرى، أطاع الرجال الأوامر وكانوا ما يقرب من خمسة رجال فقط، ويبدو أن ذلك الرجل السمين هو السادس.

تعلمين أيتها الكاتبة لم أوسوس لهم، فلقد استمعوا لكل كلامي منذ بداية أمرهم، واستمروا فيه، يبدو أن الأمر قد استحوذ على إعجابهم.

اقترب الرجل السمين من وصال وأمام عيني أختها قام باغتصابها، ما أن رأت نضال هذا الأمر حتى حاولت أن تصرخ لكن دون مجيب، وبعد أن انتهى من أختها أمسك بحجر ضخيم وظل يضربها على رأسها حتى تهشم تمامًا، وماتت وصال أمام عيني أختها. لا أستطيع أن أصف كيف كانت عينا نضال قد جحظتنا للخارج، واحمرتا كالجمر وهي ترتعد دون أن تنطق بكلمة واحدة حين اقترب منها وقام باغتصابها هي الأخرى، ولكنه لم يقتلها لا تعرف حتى لماذا لم يفعل ذلك، كانت نضال قد أغشي عليها، ولكنها أفاقت بعد وقت غير معلوم، وبدأت تحاول أن تفتح عينيها التي كانت تؤلمها من تسلط أشعة الشمس عليها، أفاقت وقد أصبح المكان خاليًا تمامًا، قد هرب هؤلاء أو ربما خرجوا لاقتناء فريسة أخرى.

انتفضت بسرعة وحاولت أن تبحث يمينًا ويسارًا، ولكنها وجدتهم؛ كانوا خلف الجبل نائمين كلهم، عادت لأختها فأغلقت عينيها وهي تبكي، وتحاول أن تكتم صرخاتها، بخطوات بطيئة جدًا تسللت بها حتى هربت بسرعة.

وصلت إلى منزلها وكانت قد ضللتهم عن طريقها، دخلت وهي ترتعد ولا تصدق ما حدث، أمسكت بالهاتف وقامت بالاتصال بخطيب أختها؛ والذي كان من المفترض أنه مشغول في إعداد أشياء العرس، تعجب من إصرارها على مجيئه، لكنه جاءها بسرعة لأن صوتها كان مخيفًا.

فتحت الباب وارتمت على الكرسي ويداها ملطخة بالدماء وملابسها، بالطبع صعق الفتى والذي كان بالمناسبة يدعى «محمود» حكى له ما حدث، فقام من مكانه وهو لا يدري ما الذي عليه فعله، أصبح يضرب رأسه بالحائط كالمجنون لا يعي ما حكته له، حاولوا إبلاغ الشرطة ولكن يبدو أن تلك العصابة قد اختفت تمامًا.

وبعد فترة وجدت الشرطة جثة أختها ملقاة في إحدى صناديق القمامة، لقد تدمرت حياة نضال تمامًا فقد كانت أختها هي كل ما تملك في هذا العالم الموحش.

يبدو أنها ومحمود قد قررا الانتقام بطريقتهما، كانت تعلم أن ذلك الرجل زعيم العصابة لن يتركها حية، فقد رأت وجهه، واستطاعت الهرب، ما لا يعلمه هذا الأحمق أنها هي من كانت تبحث عنه لا هو.

كانت جالسة بهدوء في منزلها حين اقتحمه ومعه اثنان من رجاله، فوجدها مبتسمة وجالسة في هدوء شديد! ضحك واقترب منها: «مرحبًا يا فتاة! كنت أبحث عنك».

أكملت ابتسامتها: «وأنا أيضًا».

تعجب من ردها، فأمسكت بشمعة كانت قد أشعلتها بجوارها وأطفأتها، وفجأة هجم محمود ومعه سبعة من الرجال عليهم، وقاموا

بضربهم وتكتيفهم، أمسك محمود سكينًا واقترب من السمين وهو يصرخ: «سأقطعك إربًا».

أسرعت نضال وأمسكت منه السكين: «اهدأ يا محمود، لدينا خطط أخرى أتذكر!؟».

رفعت سماعة هاتفها: «نعم أيها الأطباء معنا، حسنًا هل كل شيء معد؟ رائع نحن في الطريق».

قاموا بتخديرهم وحملوهم دون أن يشعر بهم أحد إلى مكان بعيد، كان في انتظارهم بعض من الأطباء بلباس العمليات، أسرعوا بإدخالهم وأغلقوا الباب جيدًا.

وماهي إلا بضعة ساعات خرجت نضال تبسم في وجه محمود: «الآن هم ملكك، ولكن دعني آتي بين الحين والآخر حتى أتأكد من إتمام الأمر جيدًا»، ربت على كتفها وغمز للرجال معه فوقفوا يحرسون الباب جيدًا.

أراك أيتها الكاتبة تنسائلين الآن ما الذي فعلوه؟

«نعم أريد أن أعرف».

حسنًا بضعة أيام وكان الثلاثة رجال قد أفاقوا؛ الرجل السمين ومعه الاثنان الآخران، وبدأ الصراخ والعيول! تعلمين، الحمقي الذين كانوا يقتلون وينتهي الأمر؛ ليموت القاتل ويظلوا هم في أحزانهم وذكرياتهم التعيسة؟ حسنًا لم يحدث هذا الأمر هنا؛ لقد قامت نضال بإحضار الأطباء زملاءها وخمني ماذا؟

«فلتخبرني ماذا؟».

فلنبداً حين نظروا لأنفسهم في المرأة ووجدوا الكارثة، لقد قامت الفتاة والأطباء زملاؤها بتحويلهم إلى إناث، عملية تغيير جنس ناجحة ببراعة، صدقيني.

وقفت الكاتبة في صدمة: «يا إلهي! هل فعلت نضال بهم هذا؟!». «أشعر بالشفقة من ناحيتك تجاه هؤلاء المغتصبون يا فتاة».

«من قال إنني أشفق عليهم؟ لقد سرت قشعيرة في جسدي، يا لها من فتاة ذكية حقاً! لو رأيتها لانحيت لها إجلالاً».

نعم صرخ الرجل السمين والذي أصبح يملك عضواً أنثوياً الآن هو وأصدقاؤه الثلاثة، وظل محمود محتجزاً لهم حتى انتهت عملية العلاج، لتكفل عملية تحويلهم إلى إناث بنجاح مبهر.

«انتظر أيها الشيطان! لقد أخبرتني أن لديك قصتين؟».

«ومن قال إنني انتهيت؟!».

يبدو أن نضال قد عرفت منهم أنهم يقومون باحتجاز نساء في ذلك المكان الموحش، كان عليها أن تحررهم، فبدأت القصة الثانية والتي اكتشفت فيها أن هؤلاء العصابة ليست مجرد عصابة لاغتصاب النساء فقط، بل لقد كانوا مهووسون حمقى، يقومون بخطف الصبيان في سن صغيرة وإخصائهم لجعلهم عبيد لهم.

اشمأزت الكاتبة: «يا إلهي! ما هذا العمل الوحشي، ولكن لن يكون أقل من الاغتصاب والقتل، يبدو أنهم حمقى مجانين، ولكن ماذا فعلت نضال؟».

«كان عليها تحريرهم، لا تسألني كيف، قلت لك من البداية تلك

الفتاة تفعل المستحيل».

«وماذا عن الأطفال الذين دمرت هذه العصابة الحمقاء مستقبلهم؟».

«تسألين كثيرًا! حسنًا أو دعوا في مراكز للعلاج النفسي، فقد كان أمرهم قد انتهى تمامًا، عليهم أن يعيشوا هكذا لبقية أعمارهم».

في النهاية محمود وبعد أن اكتملت العملية بنجاح قام بإلقائهم في إحدى الملاهي الليلية ليتهي حال الرجل بأن يكون امرأة تلهو بها الرجال هو ومساعديه، وبعدها تم تبليغ الشرطة وقامت بالقبض عليهم، ولم يستطيعوا إثبات أن نضال ومحمود قاما بفعل أي شيء من عملية تحويل الجنس هذه، فقد جعلاهم يقومون بالإمضاء على أوراق الموافقة فور دخولهم لعملية التحويل.

لم تتزوج نضال وحتى الآن على علاقة صداقة جيدة بمحمود، والذي تزوج ومعه فتاة صغيرة أسماها: «وصال».

«قصة عجيبة! لم أر انتقامًا كهذا من قبل!».

«حسنًا، ألا تسمعين تكبيرات العيد، تستطيعين الآن الخروج من الجدار، هنيئًا لك».

«أكنت تعلم؟! أنت لا تراني!».

«إذن لماذا كنت تخبئين ثقبك الحبيب عني إن كنت لا أستطيع أن أراك؟ اخرجي يا فتاة إنه وقت خروجك».

هرولت ناحية الجدار وخرجت مسرعة لأجد نفسي في هذا الضوء الأبيض الذي يحيط بي من كل اتجاه، شعرت بإحساس غريب وكأنني قد أغشي عليّ ثم فتحت عيني ببطء.

أنا على سرير مشفى مربوط على جسدي أسلاك غريبة، الرؤية ضبابية، أحاول أن أرى، عيناى تفتح ببطء، نعم أستطيع أن أرى، إنها أمي تبكي فرحًا بجواري، وإخوتي يصرخون في سعادة، وجدت طبييًا شابًا يقف بجواري يحاول إفاقتي: «مرحبًا بعودتك» قالها بابتسامة ثم انصرف.

ما الذي حدث؟ لا أفهم.

أمي أمسكت بيدي وبيدها الأخرى تمسح دموعها: «لقد أصبت في حادث يا حبيبتى، حمدًا لله أنك بخير، لقد عدت إلينا كنت سأموت قهراً عليك، لم نفرح في رمضان ولكن الله جعل عيدنا عيدين بعودتك».

«أي حادث يا أمي؟ عمّ تتحدثين؟».

«حبيبتى ألا تذكرين شيئاً؟ لقد كنت في غيبوبة طيلة هذه المدة، لا يهم يا ابنتي المهم أنك معنا الآن».

يا إلهي! حادث! أكنت أحلم كل هذا الوقت؟ كيف؟ لا أفهم.

حاولت استيعاب ما حدث معي لكنني لم أفهم، ثم ما هي إلا بضعة أيام وخرجت معافاة حمدًا لله، ولكنني لا أتذكر شيئاً من ذلك الحادث الذي يحكون عنه، دخلت حجرتي أخيراً بمنزلي احتضنت سريري بعد أن أغلقت أمي عليّ الباب، والجميع بالخارج من أهل وجيران يهتفونها.

كنت أنظر إلى غرفتي في سعادة لا تُوصف، ولكنني وجدت ملفًا كبيرًا موضوعًا على مكتبي، ما هذا اعتدلت بسرعة واقتربت منه، أوراق كثيرة مكتوبة... ب... يا إلهي! ألقىت الملف من يدي وقد تجمد الدم

في عروقي إنه هو خط يدي؛ إنها تلك المذكرات التي كنت أكتبها!!
مكتوب عليه من الخارج العنوان: «مذكرات شيطان».
أمسكت به مرة أخرى وناديت على أمي: «أمي! كيف جاء هذا
إلى هنا؟».

«ما هو يا حبيبي؟ لا أفهمك؟».

«هذا الملف يا أمي، ما أحمله بيدي».

«ولكن يا عزيزتي أنت لا تحملين شيئًا! حبيبي ماذا بك؟ هل
تشعرين بشيء؟ هل نعود إلى المشفى؟ أخبريني إن كنت تشعرين
بشيء؟».

يا إلهي أمي لا ترى ما أحمله في يدي ما الذي يحدث؟ أخبرتها
أنني بخير، وجلست أنظر له في رعب كيف لا يراه غيري، ما الذي
يحدث؟ فتحت الورقة الأولى مكتوب بها بخط يدي:
«إلى تلك الشابة التي كانت تحلم بالمستحيل! ها هو الآن بين
يديك».

مضت ساعات وأنا أفكر فيما حدث ولا أجد له تفسيرًا،
فأمسكت بالأوراق بين يدي، وفتحت جهاز الحاسوب خاصتي وبدأت
أنقل ما فيه.

وقفت لبرهة وتذكرت رقية، ترى من تكون؟ دخلت أمي غرفتي
ومعها كعك وشاي بحليب المحبب لدي ابتسمت لي: «أرى أنك
عدت للكتابة من جديد، فليكرمك الله يا حبيبي».
«أمي! ألا تعرفين واحدة تدعى رقية؟».

«رقية! لا أذكر أحدًا بهذا الاسم».

خرجت أمي من الغرفة ثم فتحت الباب مرة أخرى وهي تنظر بغرابة: «عزيزتي تذكرت هناك ممرضة كانت تأتي للبيات معك، أتذكر أن اسمها كان رقية، ربما... لقد كانت سيدة رقيقة ومهذبة، سمحت لي أن أدخل لك في غرفة العناية المركزة ذات مرة، لا أعلم كيف نسيت اسمها، إنها ملاك يمشي على الأرض».

أغلقت أمي الباب وابتلعت ريقى في ذهول، رقية يا إلهي! لست أفهم شيئًا، ارتديت معظفي بسرعة فقد كان الجو باردًا، وخرجت متوجهة ناحية المشفى، حاولت أمي ردعي عن الخروج فقد كانت خائفة أن يصيبني مكروه لكنني أصررت على الخروج.

ما أن دخلت المشفى حتى سألت عنها في كل مكان حتى وجدتها.

دخلت إلى تلك الحجرة التي كانت تجلس بها مرتدية الأبيض، وما أن رأنتني حتى هرولت ناحيتي واحتضنتني: «أسماء، حمدًا لله أنك بخير يا عزيزتي، ولكن كيف تذكريني؟».

عرفت الآن من هي تلك المرأة التي رسمت صورتها على الأوراق حين رسمتها، وأنا في المحبس مع هذا الشيطان، إنها هي رقية، لا أفهم شيئًا! كيف كنت بغرفة العناية المركزة وكيف يحدث أن أكتب هذه الأوراق، بل وأن أرسم وجه المرأة التي كانت تجالسنى دون أن أراها؟ ربما روحي كانت تهيم في مكان ما، ولكن كيف للروح أن تكتب أو ترسم؟ بعض الأمور المبهمة التي لا أجد لها تفسيرًا لكنني ابتسمت لها وأكملت حديثي معها.

«الحقيقة أنا أذكر كل شيء؛ تشجيعك لي، ابنك المريض، حسناً، كيف حاله؟».

قطبت عن حاجبيها في تعجب قائلة: «أجلس مع مرضى كثير لم يذكر أحد حتى إنه رأي، غريب أنك تتذكرين حديثنا!».

«نعم لم أنس شيئاً، لقد كنت ملاكي الحارس يا رقية» قلتها وأنا أحمل في قلبي طمأنينة غريبة تجاهها.

أمور مبهمة كثيرة عرفتها مثل: حين ارتطمت رأسي بالجدار وسمعت أصوات أناس تهرول، ورأيت وجههم كألأشباح ساعتها كنت بغرفة العناية المركزة حاولوا إفاقتي، وعدت للحظة للدنيا ثم ذهبت في تلك الغيبوبة مرة أخرى.

حين كانت تمسك رقية بيدي أثناء مجالستها لي ليلاً كنت أشعر بها، كذلك حين جاءت بأمي لتراني، كل تلك الأمور الغريبة التي كانت تحدث وجدت لها تفسيراً إلا كوني في ذلك العالم وكتابتي لتلك المذكرات الغريبة لم أجد لها تفسيراً أبداً، الأغرب كيف عادت إلى غرفتي؟ كل تلك الأمور مرت بعقلي سريعاً أثناء جلوسي مع رقية، وتبادلنا للحديث والتي كان يبدو عليها الذهول من رؤيتي، الحقيقة أنا أيضاً في ذهول من رؤيتها، بل من تلك التجربة العجيبة التي مرت بها. جلسنا سوياً نحكي وأخبرتني أن ابنها لديه مرض نادر وعلاجه خارج مصر، فتكلفته باهظة جداً، حاولت أن أحبس دموعي من حزني عليها، لكنني واسيتها ووعدها أنني سأفعل ما بوسعي لمساعدتها.

انتهيت من كتابة مذكرات شيطان، وما أن عرضته على دار النشر حتى تعجبت من حديثي، لم يصدقني أحد، واعتبروا أنني أدعي ما

حدث فيها، لكنه أعجبهم جدًا وقرروا نشره، كانت سعادتني لا توصف، لا أعلم لماذا؟ لكن حقيقة في هذا اليوم الذي وُفقت فيه لنشرها كان هناك ثري عربي صديق لتلك الدار عندما سمع قصتي أخبرني أنه يريد أن يساعد رقية، لن تصدقوا! لقد سافر ابن رقية على نفقته الخاصة وهو الآن يعالج في فرنسا.

أما عن مذكرات شيطان فهي بين يديكم الآن، ولكم أن تحكموا بأنفسكم.

تمت

أسماء ونان

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
اليوم الأخير من شعبان	٩
اليوم الأول	١٣
اليوم الثاني	١٨
اليوم الثالث	٢١
اليوم الرابع	٢٤
اليوم الخامس	٢٧
اليوم السادس	٣٠
اليوم السابع	٣٣
اليوم الثامن	٣٦
اليوم التاسع	٣٩
اليوم العاشر	٤٢
اليوم الحادي عشر	٤٥
اليوم الثاني عشر	٤٩
اليوم الثالث عشر	٥٢
اليوم الرابع عشر	٥٦
اليوم الخامس عشر	٥٩

اليوم السادس عشر.....	٦٢.....
اليوم السابع عشر.....	٦٥.....
اليوم الثامن عشر.....	٦٨.....
اليوم التاسع عشر.....	٧١.....
اليوم العشرون.....	٧٤.....
اليوم الحادي والعشرون.....	٧٧.....
اليوم الثاني والعشرون.....	٨٠.....
اليوم الثالث والعشرون.....	٨٣.....
اليوم الرابع والعشرون.....	٨٦.....
اليوم الخامس والعشرون.....	٩١.....
اليوم السادس والعشرون.....	٩٧.....
اليوم السابع والعشرون.....	١٠١.....
اليوم الثامن والعشرون.....	١٠٤.....
اليوم التاسع والعشرون.....	١٠٨.....
اليوم الثلاثون والأخير.....	١١١.....

* * *